مجلة المعيار ISSN :1112-4377
مجلد:26 عدد:4 (رت 66) السنة: 2022

فلسفة الأخلاق في المسيحية الكاثوليكية (دراسة وصفية تحليلية)

The Catholic moral philosophy (A descriptive analytical study)

يسرا ماجد الزيدان[1]
جامعة قطر
yalzaidan@qu.edu.qa

تاريخ الوصول 2021/12/29 القبول 2022/04/03 النشر على الخط 2022/05/10
Received 29/12/2021 Accepted 03/04/2022 Published online 10/05/2022

ملخص:

تُناقش هذه الورقة فلسفة الأخلاق في المسيحية الكاثوليكية مناقشة دينية لاهوتية، وأخلاقية قيمية، وإنسانية حضارية، حيث تدرس العلاقة الثلاثية التي تجمع الكتاب المقدس واللاهوت الكنسي بفلسفة الأخلاق الكاثوليكية ببعديها النظري والعملي، كما وتنظر في منظومة الأخلاق الكاثوليكية من حيث الأصالة والشمول، وتبحث في مصادرها، وتستفهم عن نوعية علاقتها بالعقائد وأسرار العبادة، فضلا عن استكشافها لمفردات فلسفة الأخلاق الكاثوليكية المتمثلة في الإلزام الأخلاقي والجزاء، والحرية والمسؤولية الإنسانية. وتستمد الورقة أهميتها من محورية الدور الذي يلعبه الفاتيكان في إدارة ما بات يُعرف بحوار الأديان، فكان من الأهمية بمكان دراسة الفلسفة الأخلاقية التي يستند إليها الفاتيكان في دعوته للحوار مع الآخر. وقد خلصت الورقة إلى عدد من النتائج أهمها: تعذر الحديث عن منظومة أخلاقية أصيلة وشاملة وثابتة في كاثوليكية، وإنما منظومة أخلاقية مستمرة التطور بتطور الزمن. مصادر الأخلاق الكاثوليكية متنوعة وتنقسم إلى أساسية وثانوية. تستمد الأخلاق في الكاثوليكية شرعيتها من عقيدة المسيح وعمله الخلاصي، وتلعب الأسرار المقدسة دورا أساسيا في اكتساب الفضائل الأخلاقية وفي الترقي الأخلاقي، العلاقة بين الحرية والمسؤولية والنعمة الإلهية يشوبها شيء من الغموض الذي قد ينتج عنه نوع من الجبر.

الكلمات المفتاحية: الفاتيكان – الأخلاق – المسيحية – الكاثوليكية – فلسفة الأخلاق.

Abstract:

This paper discusses the catholic moral philosophy a religious, theological, ethical, and civilized discussion. It studies the tripartite relationship that combines the Bible and ecclesiastical theology with the catholic moral philosophy in its theoretical and practical dimensions. It also searches for the sources of ethics, and asks about the relationship between the ethics and catholic doctrine and the Seven Sacraments. The paper also explores the moral conscience as a form of obligation, as well as the judgment, heaven and hell as a reward, and the free will and human responsibility.

The importance of the paper derives from the central role the Vatican plays in managing what is known as interfaith dialogue, so it is very important to study the moral philosophy on which the Vatican relies in its call for dialogue with the other.

The paper concluded with several results, some of the most important are: It is not possible to talk about an authentic, comprehensive and stable moral system in Catholicism, but rather a moral system that continues to evolve with the evolution of time. The sources of Catholic ethics are varied, and they divided into primary and secondary sources. Ethics in Catholicism derives its importance from the doctrine of Jesus Christ sacrifice, and the sacraments play an essential role in acquiring the virtues and in aiding human moral development. The relationship between free will and divine grace is somewhat ambiguous, which may result in a kind of compulsion.

Keywords: Vatican – Ethics – Christianity – Catholicism – Moral Philosophy.

[1] المؤلّف المراسل: يسرا ماجد الزيدان البريد الإلكتروني: **yalzaidan@qu.edu.qa**

1. المقدمة:

لما أدار الغرب ظهره للكنيسة التي كانت تتبنى الشعارات القيمية والأخلاقية؛ ثارت الكثير من الأسئلة الأخلاقية، فهل من الممكن الحديث عن قيم أخلاقية بعيدا عن المصدر الديني؟ لقد أنتج البحث عن المصادر الأخرى للأخلاق عددا من الطروحات الفكرية المختلفة، ولأن الفاتيكان –رأس الطائفة الكاثوليكية– استشعر غياب سلطته الدينية والأخلاقية في العصر الحديث؛ عقد مجمعا مطولا من 1962 إلى 1965م سمي: المجمع الفاتيكاني الثاني، الذي غُيرت بموجبه عدد من العقائد لتتناسب وواقع العصر، وأُعلن من خلال أحد قراراته ضرورة التعاون بين الأديان[1] بعد أن كانت القطيعة هي الأصل في علاقة الكنيسة مع الأديان الأخرى.

لقد كان هذا المجمع نقطة تحول في تاريخ الكنيسة، فمن بعده تمكن الفاتيكان من أن يجد لنفسه موطئ قدم في العصر الحديث، وأخذ كمؤسسة دينية يلعب دوراً محورياً في إدارة ما بات يُعرف بحوار الأديان، مع رفعه لشعارات المحبة والعدل والأخوة الإنسانية باعتبارها أخلاق المسيح، وأنها صالحة لتحقق التعايش السلمي المشترك ومكافحة التطرف، ولذلك نجد من الأهمية بمكان دراسة المنظومة الأخلاقية التي يستند إليها الفاتيكان في دعوته للحوار مع الآخر.

بناء على ذلك تناقش هذه الدراسة إشكالية فلسفة الأخلاق الكاثوليكية في سياق لاهوتي ديني، وأخلاقي قيمي، وحضاري إنساني، والسؤال الرئيس الذي تطرحه هو: هل يمكن الحديث عن منظومة أخلاقية أصيلة داخل المسيحية الكاثوليكية؟

وينبثق عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية :

1) ما المبادئ الأخلاقية في الكاثوليكية؟
2) ما مصدر الأخلاق الكاثوليكية؟
3) ما العلاقة التي تربط الأخلاق بالعقائد وأسرار العبادة؟
4) ما نوعية الإلزام والجزاء الأخلاقي الذي تُقدمه الكاثوليكية؟
5) ما نوعية الحرية والمسؤولية في فلسفة الأخلاق الكاثوليكية؟

ويهدف البحث إلى:

1) التعرف على المبادئ الأخلاقية في الكاثوليكية.
2) التعرف على مصادر الأخلاق الكاثوليكية.
3) التعرف على نوعية العلاقة التي تربط الأخلاق بالعقائد والعبادات.
4) النظر في نوعية الإلزام والجزاء الأخلاقي الذي تُقدمه الكاثوليكية .
5) التعرف على نوعية الحرية والمسؤولية في فلسفة الأخلاق الكاثوليكية.

[1] بيان في علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية، البطريركية اللاتينية، القدس، تم استخراجه من: https://www.lpj.org/ar/archives/second-vatican-council-documents.

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يتم وصف العقائد والأسرار المقدسة والأخلاق كما هي عند الكاثوليك، ثم تحليل ما يحتاج منها للتحليل، إضافة إلى استخدام النقد في بعض المواضع وفق الاقتضاء، مع مراعاة الأمانة العلمية في كل ما يُنقل، والحرص على الرجوع إلى المصادر الأصلية جهد الاستطاعة.

ويتكون البحث من مقدمة ومبحثين بأربعة مطالب، وخاتمة لأهم النتائج على النحو الآتي :

المبحث الأول: العقيدة الكاثوليكية والمبادئ الأخلاقية

- المطلب الأول: الأخلاق وعلاقتها بالعقائد وأسرار العبادة الكاثوليكية.
- المطلب الثاني: المبادئ الأخلاقية الكاثوليكية .

المبحث الثاني: مفردات الفلسفة الأخلاقية الكاثوليكية

- المطلب الأول: مصادر الأخلاق في الكاثوليكية .
- المطلب الثاني: الإلزام والجزاء الأخلاقي والحرية والمسؤولية الإنسانية

2. العقيدة الكاثوليكية والمبادئ الأخلاقية:

2.1. الأخلاق وعلاقتها بالعقائد وأسرار العبادة الكاثوليكية:

ترتبط الأخلاق الكاثوليكية بعُرى الإيمان العقدي، ذلك الإيمان الذي يبدأ بقصة خلق الإنسان الأول ووقوعه في الخطيئة بتجربة الشيطان إياه، مما قضى على الثقة في علاقته بخالقه، حيث عصى الإنسان الأول خالقه بغية أن يصير "مثل الله" (التكوين، 3: 5) ولكن بدون الله، وليس بحسب ما يُريده الله، ففقد آدم وحواء وذريتهما كلها نعمة القداسة والبرارة الأصليتين، وسقطا إلى الأرض وخضعت الطبيعة البشرية للجهل والألم وسيطرة الموت كعقوبة، ومالت إلى الخطيئة، وهذا الميل يسمى "شهوة"، ورغم ذلك لم يترك الله الإنسان تحت سيطرة الموت، بل افتدى البشرية بأن أرسل إليها كلمته Logos يسوع المسيح فتجسد إلهاً حقاً وإنساناً حقاً، ومات على الصليب ليُتم خلاص البشر، ثم قام في اليوم الثالث من بين الأموات وصعد إلى الآب في السماوات وجلس إلى جانبه، وأفاض الروح القدس على رسله في يوم العنصرة، وبذلك اكتمل الثالوث الإلهي المقدس، ولازال الروح القدس يُعمل مواهبه في نفوس المعمدين الذين قبلوا النعمة الإلهية، فيجدد فيهم المثال الإلهي الذي فُقد بالخطيئة، ويقودهم للخلاص التام والاتحاد بشخص يسوع المسيح.[1] هذه هي خلاصة الإيمان العقدي للكنيسة الكاثوليكية، وهي في الوقت ذاته تُعد الأساس للتصور الأخلاقي.

وبعبارة أخرى، فإن الأخلاق الكاثوليكية أخلاق لاهوتية بامتياز متمركزة حول عقيدة الـ Logos يسوع المسيح وعمله الخلاصي، إذ المسيح هو مرجع الأخلاق والمثال الأخلاقي الذي يسعى الكاثوليك للاقتداء به، ومن ثم فكل الأسرار والطقوس والعبادات لا تُعدم أن تضم مفاهيم أخلاقية، وأن تكون وسيلة ضرورية للترقي الأخلاقي بما يحقق الخلاص من الخطيئة الأصلية والخطايا الأخرى، وفي هذا المطلب نتناول **الأسرار المقدسة السبعة The seven sacrament** كنموذج لعلاقة الشعائر والطقوس بالقيم الأخلاقية.

[1] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ترجمة يوحنا منصور، (2005 – 2006)، ص32 – 33، 47 – 53. بتصرف.

تُعد الأسرار المقدسة السبعة العلامة الأشد كثافة لعمل الله الخلاصي، ففيها تصير نعمته حاضرة،[1] وتندمج أضعاف موهبة الفداء – ملء محبة الله للناس – مع كل مرحلة رئيسة ونقطة تطور في حياة المؤمنين منذ الولادة وحتى الوفاة[2]، وتعتقد الكاثوليكية أن المسيح هو الذي أنشأ تلك الأسرار سواء خلال حياته الأرضية أو بعد قيامته خلال العصر الرسولي، ويمكن إيجاد مراجع لها جميعها في العهد الجديد[3]، وقد أكد مجمع ترينتو أن عددها سبعة أسرار لا أكثر ولا أقل هي: المعمودية، والتثبيت، والإفخارستيا، والتوبة، ومسحة المرضى، والكهنوت، والزواج،[4] أوكلها المسيح إلى كنيسته، فهي المسؤولة عن القيام بها وهي ما يبني الكنيسة[5].

وتُعد هذه الأسرار حقائق في الإيمان الكاثوليكي يمكن الاعتقاد بها فقط من خلال النعمة وحدها، أو عدم الاعتقاد بها من خلال رفض النعمة،[6] كما يُعتقد بأنها فاعلة تلقائياً – أي بمجرد القيام بها – فالمسيح هو الذي يعمل فيها ويولي النعمة وينيل النعمة التي تعنيها بمعزل عن القداسة الشخصية للقيام بها، إلا أن ثمار السر رهن أيضاً باستعدادات من ينالها. والأسرار ضرورية للمؤمن بالمسيح، إذ تنيله النعم الأسرارية، ومغفرة الخطايا، والتبني كأبناء الله، والتمثل بالمسيح الرب، والانتماء إلى الكنيسة، إضافة إلى أن الروح القدس يشفي ويغير من يقبلونها.[7]

وتبدأ الحياة المسيحية بنيل السر الأول، وهو **سر المعمودية Baptism**، إذ هو بمثابة الباب الذي يُدخل منه إلى الكنيسة [8]، وبقبوله يصبح المعتمد قادراً من الناحية الأنطولوجية على تحصيل الأسرار الأخرى، بخلاف غير المعتمد الذي لا يقدر على ذلك، ومن ثم فلا يستطيع الخلاص[9].

والتعميد هو التغطيس بالماء، حيث يُغطى المعمد في موت المسيح ويقوم معه خليقة جديدة[10]، أي أنها ولادة جديدة من الماء والروح، وبالمعمودية تتعافى الروح من الخطيئة الأصلية وجميع الخطايا الشخصية والعواقب التي تستوجبها، ولا تعود الروح بعيدةً أخلاقيا عن الله، إذ يُصبح المعتمد شريكا في الحياة الثالوثية الإلهية بالنعمة المقدسة، كما ويُخول نصيباً في كهنوت المسيح، إضافة إلى

---

[1] المسيحية في أخلاقياتها، ترجمة المطران كيرلس سليم بسترس، منشورات المكتبة البولسية، جونيه، 1999، ط1، ص181. بتصرف.

[2] See: roger w. nutt, general principles of sacramental theology, The catholic university of America press, Washington, D.C , 2017, p187.

[3] Thomas joseph White, The light of Christ an introduction to Catholicism, the catholic university of America press, Washington, 2017, p187.

[4] General council of Trent: seventh session 3 march 1547, papal encyclicals online, on: https://www.papalencyclicals.net/councils/trent/seventh-session.htm.

[5] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص75.

[6] The light of Christ an introduction to Catholicism, p187.

[7] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص76.

[8] Paul A. Boer, The Roman Catechism: The Catechism of the Council of Trent, veritatis splendor publication, 2013, p141.

[9] The light of Christ an introduction to Catholicism, p190.

[10] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص82.

أنها أساس الشركة مع جميع المسيحيين، وبها تُمنح الفضائل الإلهية ومواهب الروح القدس،[1] وتتمثل تلك الفضائل الإلهية بالإيمان والرجاء والمحبة، وهي بمثابة المواقف المسيحية الأساسية، إذ بها ينفتح الإنسان على الله، وتسم كل ما يفعله المسيحي أو يمتنع عن فعله، لأن التعلق بالله لابد أن يسم الحياة كلها.[2]

وبعد أن تبدأ الحياة الأخلاقية الكاثوليكية بالمعمودية؛ يأتي **السر الثاني وهو سر التثبيت Confirmation أو سر المسحة بالزيت المقدس، أو سر الميرون في الكنائس الشرقية**. ويُسمى بـ "التثبيت" لأنه يثبت نعمة المعمودية ويوطدها، ويتم بوضع يد من يخدم السر وهو ينطق بالكلمات الأسرارية الخاصة به، ففي الغرب تُمسح جبهة المعتمدين مع هذه الكلمات: "فلتختم بختم الروح القدس، موهبة الله"، أما في الشرق فتزيد مناطق المسح مع الكلمات الآتية: "ختم موهبة الروح القدس"،[3] ومثل المعمودية، يغير يغير التثبيت روحك، إذ تتلقى علامة لا تُمحى على روحك، وتُصبح هذه العلامة مصدر نعمة دائم لك إلى الأبد.[4]

إن سر التثبيت يعمل على إفاضة الروح القدس الخاصة كما في العنصرة، وهذه الإفاضة تطبع في النفس سعة لا تبلى وتزيد نعمة المعمودية، وترسخ النبوة الإلهية ترسيخا أعمق في المعتمد، وتزيده ثباتا في اتحاده بالمسيح، وتعزز في النفس مواهب الروح القدس، وتمنح قوة خاصة للشهادة بالإيمان المسيحي[5]، هي باختصار تمنح هذا الكائن الجديد قدرة تحقيق ذاته المؤلهة في كل أبعادها، حيث ينسكب الروح القدس في قلب المسيحي ويملأ ثنايا جسده وروحه، ويضع بذور الحرية والنضج الروحي، وفي حين تشمل المعمودية كيان الإنسان، يشمل التثبيت عمله، فتصير أعماله كلها شهادة لإيمانه،[6] إذ يُصبح مُكرساً لأعمال المحبة في نعمة الروح القدس.[7]

وبعد أن يُختم المعتمد بختم التثبيت، يُصبح جاهزاً لنيل ثاني أهم الأسرار على الإطلاق **وهو سر الإفخارستيا Eucharist أو المناولة**، وهي ذبيحة جسد الرب ودمه بذاتهما، وعلامة على الوحدة ورباط المحبة، والوليمة الفصحية، يقبل فيها المعتمد المسيح، وتمتلئ نفسه بالنعمة، ويُعطى فيها عربون الحياة الأبدية، وتعتقد الكاثوليكية أن المسيح نفسه هو من وضع هذا السر في الليلة التي أُسلم فيها، إذ بينما كان يحتفل بالعشاء الأخير مع تلاميذه، أخذ الخبز في يديه، وكسره وناولهم إياه قائلا: (خذوا وكلوا منه كلكم: هذا جسدي يُبذل لأجلكم)، ثم أخذ في يديه الكأس المليئة بالخمر وقال لهم: (خذوا واشربوا منه كلكم، هذه هي كأس دمي، دم العهد الجديد الأبدي، الذي يُراق لأجلكم، ولأجل الكثيرين لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا لذكري) "كورنثس، 11: 24"[8]

---

[1] المرجع السابق، ص82، 85. بتصرف.

[2] المسيحية في أخلاقياتها، ص45 – 46.

[3] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص86

[4] The sacrament of Confirmation, my catholic life, on: https://mycatholic.life/the-my-catholic-life-series/my-catholic-worship/chapter-4-the-sacrament-of-confirmation/.

[5] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص86. بتصرف

[6] كيرلس سليم بسترس، مقالات في الأخلاق والحياة المسيحية، منشورات المكتبة البولسية، جونيه، 2001، ط1، ص155، 157. بتصرف.

[7] The light of Christ an introduction to Catholicism, p191.

[8] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص87-88.

النص المذكور له مثيل في "متى، 26: 26-29"، و "مرقس، 14: 22-25"، و "لوقا، 22: 14-20" مع اختلاف في بعض الألفاظ بالزيادة والنقصان.

إن سر الإفخارستيا بحسب الكاثوليكية هو سر المحبة[1]، وتذكار يجعل الذبيحة التي قدمها المسيح لأبيه مرة واحدة، على الصليب، لفداء البشرية، حاضرة وموجودة وآنية، لذلك تُعد الإفخارستيا منبع الحياة المسيحية وقيمتها، إذ هي قمة العمل الذي به يقدس الله المعتمدين، وذروة العبادة التي تُرفع إليه، وهي تحوي كل خير الكنيسة الروحي وبها تجد الشراكة في الحياة الإلهية ووحدة شعب الله التعبير عنهما وتحقيقهما، وتتمثل ثمارها في تنمية الاتحاد بالمسيح والكنيسة، وصيانة النعمة التي يتم تلقيها في المعمودية والتثبيت وتجديدها، وتقوية المحبة في النفس ومحو الخطايا العرضية، والحفظ من الخطايا المميتة مستقبلاً[2]، كما وتُعد أرفع شكل لما يُعرف بصلاة الشكر، ففيها يشكر الإنسان ويقبل محبة وصلاح الله الذي يغدق على الإنسان عطاياه[3].

ورغم أن المعتمد الذي يقبل الإفخارستيا يُولد ولادة جديدة، ويصل إلى قمة التجربة الدينية المسيحية؛ إلا أن طبيعته البشرية الضعيفة لاتزال حاضرة، وميله للخطيئة – أي الشهوة – لم يُمح، وهنا يأتي **دور السر الرابع وهو سر التوبة Penance أو الاعتراف Confession**، ويعمل هذا السر على إرجاع روح التائب إلى حالة النعمة بعد السقوط الأخلاقي، ومع الممارسة المنتظمة لهذا السر، يتنقى ضمير الممارس الأخلاقي، ويصبح أكثر احتمالا لتجنب الخطيئة الجسيمة بالكلية.[4]أما فيما يخص الجزاء الأبدي والزمني، فالتوبة تمحو العقاب الأبدي الذي تستوجبه الخطايا الثقيلة، كما وتمحو العقوبات الزمنية ولو جزئيا.[5]

ولكن لتصح التوبة، لابد من محاسبة جدية للضمير، والشعور بالندامة التي تكون كاملة عندما تصدر عن الحب لله، وتنطوي على قصد العزوف عن الخطأ فيما بعد، بالإضافة إلى الاعتراف الذي يقوم على الإقرار بالخطايا أمام الكاهن، والكفارة، أي القيام ببعض أفعال التوبة التي يفرضها المسؤول عن الاعتراف على التائب للتعويض عن الأذى الذي سببته الخطيئة[6].

وإذا كان سر التوبة يختص بالأمراض الروحية التي قد تصيب الإنسان؛ **فسر مسحة المرضى Unction of the sick** يختص بالأمراض الجسدية، وقد مارس المسيح هذا السر بشفائه للمرضى شفقة بهم، وبما أن الكنيسة قد تلقت من المسيح الوصية بشفاء المرضى، فهي تسعى لتحقيقها بما توفره من وسائل العناية، وما ترفقه بها من أدعية وتشفيعات.[7]

ويتم سر مسحة المرضى من خلال مسح جبين المريض ويديه (في الطقس الغربي) بالزيت الذي يباركه الأسقف، هذه المسحة تولي للمريض نعمة خاصة تمكنه من الاتحاد بآلام المسيح اتحادا أوثق لخيره ولخير الكنيسة جمعاء، كما يمنحه التعزية والسلام والشجاعة وغفران الخطايا إذا لم يقدر المريض على الاعتراف في وقت مسبق، وفي بعض الأحيان يمنح السر العافية للجسد إن شاء الرب، وتُعد الإفخارستيا بمثابة الزاد في هذا السر، والذي يتناوله المشرفون على مغادرة هذه الحياة الأرضية المميتة، ليتهيأ عبورهم إلى الحياة الأبدية بأسهل الطرق[8]

---

[1] The light of Christ an introduction to Catholicism, p192.

[2] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص88 – 90، 92.

[3] المسيحية في أخلاقياتها، ص167.

[4] The light of Christ an introduction to Catholicism, p192.

[5] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص97.

[6] المرجع السابق، ص94-95. بتصرف.

[7] المرجع السابق، ص98. بتصرف.

[8] المرجع السابق، ص99-100.

وبما أن حياة الشراكة مطلوبة؛ فقد خُصص **السر السادس للكهنوت Priesthood، أو النظام ordre**، باعتباره السر الذي يكفل استمرار نشاط الرسالة التي وكلها المسيح إلى رسله، والذي ينظم الهيئة الكنسية بتكريس خاص يُسمى رسامة ordination، وهذا التكريس يتيح للهيئة الكنسية، بموهبة روح القدس الخاصة، ممارسة سلطان مقدس باسم المسيح وسلطانه في خدمة الشعب[1]، لذلك يشكل هذا السر العمود الفقري في الكنيسة وبدونه لا يستطيع أن تقف الأسرار الأخرى[2].

ويتألف السر من ثلاث درجات، الأساقفة، الكهنة، والشمامسة، ولكل درجة ميزتها الخاصة التي تُمنح بمواهب الروح القدس، والتي تلعب دوراً في تحقيق الخلاص، وفي الترقي الأخلاقي للمكرسين أنفسهم وأتباع الكنيسة الكاثوليكية عموماً، وفي حين يُشترط في الأساقفة العزوبة الدائمة؛ فالكهنة الرجال في الكنيسة اللاتينية يختارون بمحض إرادتهم العيش في حالة العزوبة بعد أن جربوا الارتباط مسبقا.[3]

ورغم اختلاف الحياة الرهبانية المشتركة التي ينذر المؤمنون فيها أنفسهم للمسيح نذراً يشمل حياتهم بكليتها، فيكرسون حياتهم لله باعتناق المشورات الإنجيلية –تعاليم الإنجيل–، نقول رغم اختلافها عن السر الكهنوتي، من حيث النشأة والمهام والواجبات؛ إلا أن هناك تداخلاً جزئياً بينهما، إذ بعض الرهبان كهنة، وهذا يفتح مجالا للحديث عن النذور الرهبانية ذات المضامين الأخلاقية المتمثلة بالنذور الثلاثة العفة والفقر والطاعة، وإذا بدأنا الحديث بالعفة ؛ فهي كما يذكر قرار المجمع الفاتيكاني الثاني: "موهبة النعمة السامية، إذ أنها تحرر القلب بشكل فريد ليضطرم بالمحبة لله وللناس أجمعين... وعلى الكهنة ألا يعتدوا بقواهم الذاتية... بل يكبحون شهواتهم ويميتون حواسهم، وعليهم ألا يُهملوا الوسائل الطبيعية التي تعزز صحة العقل والجسد" ويستطرد القرار: "إن العفة تكون في مأمن أكبر عندما تسود بين الأعضاء في حياتهم المشتركة محبة أخوية صادقة في حياتهم المشتركة".[4]

أما إذا انتقلنا إلى الفقر الطوعي؛ فهو علامة السير وراء المسيح، إذ بالفقر يشترك الرهبان في فقر المسيح الذي افتقر من أجل البشرية، ولا يكفي أن يخضع الرهبان لرؤسائهم في استعمال الخيرات الأرضية، بل عليهم أن يفتقروا روحيا وعمليا، ويكنزوا لهم كنوزا في السماء، ولابد أن يشعر كل راهب في وظيفته أنه ملزم بشريعة الشغل المشتركة، وبينما يحصل الرهبان على ما هو ضروري لإعالتهم ولأعمالهم، يجب أن يطرحوا عنهم كل اهتمام مفرط بأمور الدنيا ويتكلموا على عناية الآب السماوي.[5]

وأما الطاعة، فبنذر الرهبان إياها يكرسون لله كامل إرادتهم الذاتية، وكأنهم يقدمون أنفسهم ذبيحة له، وهم بهذا يتحدون بإرادته الخلاصية بصورة أشد حزما وأمانا، وبدفع الروح القدس يخضعون بالإيمان لرؤسائهم الذين يمثلون الله، ويوجهونهم إلى خدمة جميع إخوانهم في المسيح اقتداء بيسوع الذي أتى ليتمم إرادة أبيه فأخذ صورة عبر وتعلم الطاعة بما تألم به.[6]

---

[1] المرجع السابق، ص100-101.

[2] The light of Christ an introduction to Catholicism, p192-193.

See also: The Roman Catechism: The Catechism of the Council of Trent, p349.

[3] المرجع السابق، ص101-104. بتصرف.

[4] قرار في تجديد الحياة الرهبانية، البطريركية اللاتينية القدس، ص6.

[5] المرجع السابق، ص6. بتصرف.

[6] المرجع السابق، ص7. بتصرف.

يبقى السر السابع والأخير المتعلق بحياة الشراكة وهو **سر الزواج The sacrament of Matrimony أو The sacrament of marriage** ويهدف إلى الشراكة بين الزوجين وخيرهما، وإلى إنجاب الأولاد وتربيتهم، وبحسب خطة الله الأصلية؛ فإن الاتحاد بين الزوجين لا تنفصم عراه كما أكد يسوع المسيح (ما يجمعه الله لا يفرقه الإنسان) "مرقس، 10:9" أي أن الطلاق مُحرم إلا إذا كان سببه الزنى، وأما عن الجديد الذي أضافه يسوع المسيح فيما يخص الزواج، فيتمثل في أن يسوع لم يُعِد النظام الأول الذي أراده الله وحسب، بل أضافة عليه النعمة التي تمكن الزوجين من عيش الزواج في كرامته الجديدة باعتباره سرا، كما أحب المسيح عروسه الكنيسة.[1]

ختاما نلاحظ كيف أن كل القيم الأخلاقية التي تتضمنها الأسرار والطقوس متمركزة حول عقيدة المسيح وعمله الخلاصي، إضافة إلى أنه في كل الأسرار السبعة، بل وفي كل الحياة المسيحية تلعب النعمة الإلهية وموهبة الروح القدس دوراً أساسياً في الترقي الأخلاقي، حيث تتدفق ثمار الروح القدس ذات الطابع الأخلاقي فيها، وعن هذه الثمار يقول بولس في الرسالة إلى غلاطية: (أما ثمر الروح فهو المحبة والفرح والسلام والصبر واللطف والصلاح والأمانة والوداعة والعفاف) "غل، 5: 22 – 23".[2]

2.2. المبادئ الأخلاقية الكاثوليكية

بعد أن بينا علاقة الأخلاق بالعقائد والعبادات؛ يأتي الآن دور استعرض المبادئ الأخلاقية الكاثوليكية بناءً على ما أصدره الفاتيكان بعد المجمع الفاتيكاني الثاني من تعاليم ووثائق، ثم ننتقل بعد ذلك إلى التفصيل في مفردات الفلسفة الأخلاقية.

تُطلق الكاثوليكية مُصطلح الفضائل على الأخلاق، ويعني هذا المصطلح "الاستعداد العادي الثابت لفعل الخير"[3]، وقد بدأ كتاب مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية (وكذلك التعليم الكامل) بالفضائل الإنسانية الرئيسة، ثم انتقال إلى الفضائل الإلهية التي تُكتسب بالتعميد كما سبق وأن أشرنا، وسنتبع هنا الترتيب ذاته؛ ثم بعد ذلك ننتقل إلى الفضائل الأدبية التي تنبثق عن الفضائل الإلهية، والتي لم ترد في المختصر ولا في النص الكامل؛ وإنما في كتاب آخر صادر عن الفاتيكان بعنوان: المسيحية في أخلاقياتها، وأخيراً سنتطرق إلى مبدأ الخير العام.

أولاً: الفضائل الإنسانية الرئيسة:

وتُسمى أيضاً **الفضائل الكاردينالية Cardinal Virtues**، وهي بمثابة استعدادات عادية وثابتة في العقل والإرادة تنسق الأفعال وتنظم الأهواء وتقود السلوك بحسب العقل والإيمان، وهي فضائل تُكتسب بالجهد البشري وتتعزز بالأفعال الأخلاقية الصالحة والمتكررة، وفيها يتم التخلص من كل القوى البشرية من أجل تحقيق الشراكة مع الحب الإلهي، ورغم أنها تُكتسب بالمجهود الإنساني؛ إلا أن للنعمة الإلهية دورا مهما في تنقيتها والسمو بها، ولهذا النوع من الفضائل مكانة محورية، إذ تُعد أركان الحياة الفاضلة، وتتجمع

[1] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص 105. بتصرف.
Close to it: The light of Christ an introduction to Catholicism, p192.

[2] مقالات في الأخلاق والحياة المسيحية، ص163. بتصرف.

[3] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص117. بتصرف.

حولها سائر الفضائل الأخرى[1]، وهذه الفضائل الإنسانية بحسب النسخة المترجمة من مختصر التعليم الكاثوليكي هي: الفطنة والعدل والقوة والقناعة، وفيما يلي تعريف موجز بكل فضيلة منها.

تعمل فضيلة **الفطنة Prudence –وتعني أيضاً الحكمة والتعقل–** على تهيئة العقل العملي لتمييز الخير الحقيقي في كل ظرف، ولاختيار الوسائل الأنجع لإتمامه، ويستشهد الكاثوليك في هذا الصدد بما ورد في سفر الأمثال: (الجاهل يصدق كل كلمة، والكيس ينبته أين يسير) "الأمثال، 14: 15"،[2]وتلعب هذه الفضيلة دوراً في توجيه الفضائل الأخرى، بل إنها توجه حكم الضمير على الفور، وبمساعدة هذه الفضيلة يمكن للإنسان أن يُطبق المبادئ الأخلاقية على الحالات المعينة دون خطأ إضافة إلى مساعدتها في التغلب على الشكوك حول الخير الذي يجب تحقيقه والشر الذي يجب اجتنابه[3]، ونلحظ هنا تكامل العلاقة بين الفطنة والقانون الطبيعي المطبوع في كل إنسان –الفطرة– والضمير، وإلى جانب هذه الوظائف يشير كيم إلى وظيفة أخرى للحكمة وهي: ترتيب الأمور، أي تحديد الأولوية للالتزامات في حياة الانسان بطريقة مناسبة من حيث الأهم فالأهم[4].

أما **العدل Justice** فهو إرادة ثابتة راسخة لإعطاء الآخرين ما يحق لهم، والعدل تجاه الله يُدعى فضيلة العبادة[5]، إن العدالة تجاه الآخرين (الجار في النسخة الكاملة) تجعل المرء يحترم حقوق كل فرد وتجعله يوطد الانسجام في العلاقات الإنسانية، وذلك الانسجام بدوره يعزز المساواة فيما يتعلق بالأفراد والصالح العام، ويتم الاستشهاد لهذه القيمة بما ورد في العهد الجديد (أيها السادة عاملوا عبيدكم بالعدل والمساواة عالمين أن لكم أنتم أيضا سيدا في السماء) "كولوسي، 4: 1"،[6]كما أن لفضيلة العدل بُعد عقدي قوي، إذ بواسطة هذه الفضيلة أعاد الإله علاقته مع البشرية المخطئة، حيث إنه بعد أن وقع الإنسان الأول في الخطيئة حدثت فجوة كبيرة بين الإله وخلقه، وليتم إعادة الصلة بالإله أعمل الله عدله بأن أرسل ابنه يسوع المسيح إلها كاملا وإنسانا كاملا، إنسانا كاملا حتى يتمكن من دفع دين الخطيئة نيابة عنا كبشر، وإلها كاملا حتى يتمكن من دفع ذلك الدين بشكل لا نهائي لأن الإله لا نهائي[7].

وأما **القوة Fortitude –وتعني أيضاً الجلد والشجاعة والصرامة–** فهي التي تؤمن الثبات في المصاعب والصمود في السعي إلى الخير، وتقوي العزم على مقاومة الإغراءات وتذليل العقبات في الحياة الأخلاقية، وقد تبلغ القوة أحيانا إلى حد المقدرة على التضحية

---

[1] المرجع السابق، ص117، بتصرف.

[2] المرجع السابق، ص117. بتصرف.

[3] See: Catechism of the Catholic Church, Part 3, Section 1, Chapter 1, Article 7, I. The Human Virtues, No. 1806.

[4] See: Andrew Kim, An Introduction to Catholic Ethics Since Vatican II, Cambridge University Press, 2015, p.g:68.

[5] يُنظر: مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص118. بتصرف.

[6] See: Catechism of the catholic church, Part 3, Section 1, Chapter 1, Article 7, I. The Human Virtues, No. 1807.

[7] Kim, Andrew. An Introduction to Catholic Ethics Since Vatican II, p69.

بالحياة للدفاع عن قضية عادلة، فقد العهد الجديد (قلت لكم هذا كله ليكون لكم سلام بي، ستعانون الشدة في هذا العالم، فتشجعوا، أنا غلبت العالم) "يوحنا، 16: 33".[1]

وأخيراً تعمل **القناعة Temperance –وتعني أيضا الاعتدال وضبط النفس–** على كبح جماح شهوة الملذات وتؤمن سيطرة الإرادة على الغريزة، وتمكن من التوازن في استعمال الخيور المخلوقة، جاء في العهد الجديد: (لتعلمنا أن نمتنع عن الكفر وشهوات هه الدنيا لنعيش بتعقل وصلاح وتقوى في العالم الحاضر) "تيطس، 2: 12"،[2]

ثانياً: الفضائل الإلهية:

يعتقد الكاثوليك بأن الفضائل الإنسانية التي تطرقنا لها مسبقا تتجذر في الفضائل الإلهية، حيث تقوم الأخيرة بتكييف ملكات الإنسان للمشاركة في الطبيعة الإلهية[3]، فالفضائل الإلهية أو اللاهوتية مصدرها وعلتها وموضوعها المباشر الإله ذاته؛ إذ ينفح الإله بها بها على الإنسان مع النعمة المبررة، فتجعله قادراً على أن يحيا في علاقة مع الثالوث الأقدس، هذه الفضائل هي أساس الفعل المسيحي الأخلاقي وهي: الإيمان والرجاء والمحبة[4]يمنحها الإله مجانا والأمر متروك للمرء ليقرر ما إذا كان يريد قبولها واستخدامها أم لا[5]، وقد ذكرنا فيما تقدم أن المعمودية baptism تُعد البوابة للحياة المسيحية، ومن خلالها يُصبح المعمد مستعدا أنطولوجيا لقبول الفضائل الإلهية الثلاثة الآنف ذكرها.

ويمكننا أن نلاحظ هنا الترابط والتكامل بين الفضائل الإنسانية والإلهية، وذلك باعتبار فكرة تكامل القانون الطبيعي –الفطرة السليمة– مع القانون الإلهي، كما نلمس أن الفضائل الإلهية تلعب دوراً مهما في إحياء الفضائل الإنسانية التي قد يكون اعتراها بعض الخلل بسبب عوامل التأثير المختلفة وأبرزها كون الإنسان منتاه من حيث مدة الوجود وكونه واقعا تحت الخطيئة.

إن **الإيمان Faith** هو الفضيلة الإلهية التي بها يعتقد الكاثوليك وجود الله، وكل ما كلم به وأوحى، وكل ما تعرضه الكنيسة عليهم ليعتقدوه، لأن الله هو الحق ذاته، وبالإيمان يسلم الإنسان أمره كله لله بحرية. ولذلك يسعى الإنسان إلى معرفة إرادة الله وإلى فعلها لأن الإيمان (يعمل بالمحبة) "غلاطية، 5: 6".[6]وللوهلة الأولى قد يشعر من يقرأ هذه الفقرة أن قيمة المحبة هي الطاغية على كل القيم القيم الأخرى وهذا غير مستغرب كون الكاثوليكية تؤكد عليها مراراً وتكراراً؛ لكن المتمعن قليلاً سيلحظ قيمة أخرى إلى جانب المحبة هي الطاعة، فكيف نفهم العلاقة بين الإيمان والمحبة والطاعة؟

---

[1] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص118. بتصرف.

[2] المرجع السابق، ص118. بتصرف.

[3] See: Catechism of the catholic church, part 3, section 1, chapter 1, Article 7, II. The Theological Virtues, No 1812.

[4] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص118. بتصرف قليل.

[5] The Three Theological Virtues, Corpus Christi Catholic Church, 24 March 2019, on: https://www.corpuschristiphx.org/blog.php?month=201903&id=498958106&cat=&pg=1&title=The+Three+Theological+Virtues.

[6] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص119. بتصرف.

لقد حاول كارل أولسون محرر صحيفة **The catholic world report** أن يشرح العلاقة فيما بينها قائلا: "إن إنجيل اليوم ورسائل بولس الرسول كُتبا من قبل القديس يوحنا، وهو التلميذ (الذي يحبه يسوع) "يوحنا، 13: 23"، والرسول الوحيد عند الصلب "يوحنا، 19: 25-27"، والذي قضى بعد عقود سنواته الأخيرة في منفى جزيرة بطمس الصخرية "رؤيا يوحنا، 1: 9"، وكلتا القراءتين تصنع الارتباط الحيوي بين الإيمان والمحبة والطاعة، فالقراءتين معا تُظهران أن التلميذ الحقيقي ليسوع أمين ومطيع بسبب محبته للرب، بينما حبه للمسيح متجذر في الامتنان المتواضع للرحمة والنعمة التي يمحنها الروح القدس، والكلمات وحدها لا تُظهر محبة المرء لله: "بهذه الطريقة نعرف أننا نحب أبناء الله عندما نحب الله ونطيع وصاياه"".[1]

وإضافة إلى ذلك جاء في نص التعليم الكامل أنه: "لا يجب على تلميذ المسيح أن يحافظ على الإيمان ويعيش عليه فقط؛ بل لابد أن يُصرح به ويشهد له بثقة وينشره .. إن خدمة الإيمان وشهادته ضروريان للخلاص (من أعترف بي أمام الناس، أعترف به أمام أبي الذي في السماوات، ومن أنكرني أمام الناس، أنكره أمام أبي الذي في السماوات) "متى، 10: 32-33""[2].

أما **الرجاء Hope** فهو الفضيلة الإلهية التي بها يترقب المؤمن السعادة في الحياة الأبدية واضعا ثقته بمواعيد المسيح، ومستنداً إلى عون نعمة الروح القدس ليستحق تلك الحياة الأبدية وليتمكن من الثبات حتى نهاية الحياة الأرضية،[3]فقد جاء في الرسالة إلى العبرانيين (ولنتمسك من دون انحراف بالرجاء الذي نشهد له، لأن الله الذي وعد أمين) "العبرانيين، 10: 23"، ويتجلى الرجاء المسيحي منذ بداية كرازة يسوع في إعلان التطويبات، حيث ترفع التطويبات رجاء المؤمنين نحو السماء كأرض الموعد الجديدة.[4]إن هذه الفضيلة تُعتبر تسلية للمرء حيث يطمئن من خلالها بأن هذه الحياة الأرضية ليست هي نهايته؛ بل هناك امتداد آخر سيُكافأ فيه على صبره وطاعته فلا يتمكن منه اليأس حتى في أشد حالاته سوءً.

وأما **المحبة Charity** فهي الفضيلة الإلهية التي بها يحب المؤمن الله فوق كل شيء، ويحب الغريب كنفسه بسبب حبه لله، وقد جعل يسوع المحبة وصيته الجديدة وكمال الناموس، فهي (رباط الكمال) "كولوسي، 3: 14"، وأساس الفضائل الأخرى حيث تنعشها وتلهمها وتنظمها،[5] إذ هي ثمرة الروح وكمال الناموس، وهي التي تحفظ وصايا الله ومسيحه، فقد قال الأخير: (أنا أحبكم مثلما أحبني الآب، فأثبتوا في محبتي، إذا عملتم بوصاياي تثبتون في محبتي، كما عملت بوصايا أبي وأثبت في محبته) "يوحنا، 15: 9-10"، وعلاوة على ذلك؛ فإن للمحبة ثماراً هي البهجة والسلام والرحمة، لكن في المقابل تتطلب الإحسان الدائم والتقويم

---

[1]Carl E. Olson , Faith, Love, and Obedience: Marks of the True Disciple, The catholic world report, 9 April 2021, on: https://www.catholicworldreport.com/2021/04/09/faith-love-and-obedience-marks-of-the-true-disciple/.

[2] See: Catechism of the catholic church, Part 3, Section 1, Chapter 1, Article 7, II. The Theological Virtues, No. 1816.

[3]مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص119. بتصرف.

[4] Ibid, No. 1817, 1820. بتصرف

[5]المرجع السابق، ص119. بتصرف.

الأخوي المستمر.[1] ونلاحظ هنا بروز المسيح باعتباره المثال الأخلاقي، إضافة إلى بروز قيمة الطاعة إلى جانب المحبة والتي تناولناها فيما تقدم.

ثالثاً: الفضائل الأدبية أو الأخلاقية:

ونكتفي هنا بإيراد ما ذكره كتاب المسيحية في أخلاقياتها عن هذا النوع، حيث يرى أن الفضائل الإلهية تنعكس في العمل الأخلاقي مما يؤدي إلى طرق في السلوك تدعى الفضائل الأدبية أو الأخلاقية، وهي فضائل شدد عليها المسيح بعد الأنبياء في الكتاب المقدس وأبرزها: العدل والرحمة والأمانة، إضافة إلى كل من الفرح والسلام والصبر وطول الأناة واللطف والصلاح والمسامحة والوداعة والعفاف والطهارة التي تُوصف بأنها ثمار الروح القدس، وباختصار يعمل الكتاب على إثبات أن الفضائل الإلهية تقود المؤمن إلى مجموعة أوسع من الفضائل التي يُوفق إليها من خلال النعمة الإلهية وعمل الروح القدس، ولهذه الفضائل أصول في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد[2].

رابعاً: الخير العام:

يُعد الخير العام **Common Good** "مجموعة الأحكام الاجتماعية التي تسمح للناس كمجموعات أو كأفراد بالوصول إلى إشباعهم بشكل كامل وأكثر سهولةً، ويتعلق الخير العام بحياة الجميع، إذ يستدعي الحيطة والحذر من كل فرد، بل وأكثر من ذلك أولئك الذين يمارسون منصب السلطة".[3]وقد جاءت فكرة الخير العام مرتبطة بفكرة القانون الطبيعي، فبما أن القانون الطبيعي موجود في كل إنسان بغض النظر عن ديانته؛ فلابد أن تكون هناك جملة من الخيور العامة التي يتفق عليها البشر عموما كي يتمكنوا من العيش سويا والتفاهم فيما بينهم باعتبارهم مخلوقات اجتماعية، ويمكننا هنا أن نشير إلى أن مبدأ الخير العام جاء ليُغطي الجوانب الدنيوية من سياسة واقتصاد وما يرتبط بهما من حقوق للإنسان بشكل أساس.

إن في هذا المجال الدنيوي مرونة للسلطات الحاكمة، ولا تتدخل الكنيسة في الحرية التي تُمارسها السُلطة المدنية الشرعية بناءً على تعليم المسيح "ادفعوا إذا إلى القيصر ما للقيصر، وإلى الله ما لله" "متى، 22: 21"، ولكن عندما تسعى السُلطة الدنيوية للإضرار بالصالح العام أو تتصرف بما يتعارض والقانون الطبيعي؛ فيجب على الكنيسة أن تتحدث علانية بصفتها المدافع عن الحقيقة التي ائتمنها يسوع المسيح عليها[4].

[1] Ibid, No. 1823, 1829. بتصرف

[2] المسيحية في أخلاقياتها، ص56-61. بتصرف.

[3] Catechism of the catholic church, Part 3, Section 1, Chapter 2, Article 2, II. The Common Good، No. 1906.

[4] Justin Rigali, Freedom and Responsibility, Catholic Philly, 11 Sep 2008, on: https://catholicphilly.com/2008/09/archbishop-chaput/weekly-message/freedom-and-responsibility/.

إن الخير العام في تصور الكاثوليكية يتكون من ثلاثة عناصر أساسية: الأول هو افتراض احترام الشخص الإنساني أي كرامة الإنسان وحرياته وإعطائه حقوقه المفترضة، العنصر الثاني: تطلب الرفاه الاجتماعي والتنمية للمجموعة ذاتها، وأخيراً تطلب السلام بمعنى الاستقرار وأمن النظام العادل.[1]

وبناء على ما سبق؛ فإن لكل مجتمع بشري خير عام يسمح بالاعتراف به، وقد تم تحقيق ذلك الاعتراف في المجتمع السياسي بشكل كامل، ويأتي دور الدولة للدفاع عن الخير العام للمجتمع المدني والمواطنين والهيئات الوسيطة وتعزيزه، ولأن الاعتماد المتبادل بين البشر في جميع أنحاء العالم آخذ بالتزايد؛ ترى الكاثوليكية بأن الخير العام يستدعي وجود منظمة لمجتمع الأمم قادرة على توفير الاحتياجات المختلفة للإنسان، فيكون النظام مؤسساً على الحق ومبنيا على العدل ومفعما بحيوية المحبة،[2]وبما أن الخير العام ذو طابع كوني/ عالمي؛ لابد للعالم أن يتكافل ويتضامن مع بعضه البعض، ولابد للعالم المتقدم على وجه التحديد أن يُقدم المساعدة للبلدان الفقيرة بما يُعينها على تطوير مجالها الاقتصادي والدخول في السوق التجاري، وأن يُقدم لها الدعم اللازم في المجال التعليمي والصحي والغذائي وغيره من مجالات الحياة.[3]

ختاماً؛ يمكننا أن نقول: إن الخير العام وسيلة للتعايش البشري الدنيوي عموما، وأنه لما فصلت الكاثوليكية بين الديني والزمني؛ فإنه من الصعب الحديث عن منظور كاثوليكي للسياسة أو الاقتصاد فضلا عن نظام، وكل ما يمكن الحديث عنه هو استصحاب الفضائل المنبثقة عن القانون الطبيعي العام في كل المجالات وترك التقدير للنظم السياسية الزمنية التي تعيش الكنيسة في ظلها في إطار مبدأ الخير العام، وهذا في تقديرنا جانب من جوانب القصور في فلسفة الأخلاق الكاثوليكية، فرغم أنها تضمنت العديد من الفضائل الأخلاقية التي تنظم بشكل أو بآخر الحياة الروحية والأسرية والاجتماعية المحدودة؛ إلا أنها لم تستطع احتواء الجانب السياسي والاقتصادي بالشكل المناسب.

3. مفردات الفلسفة الأخلاقية الكاثوليكية:

3.1. مصادر الأخلاق:

ذكرنا فيما تقدم مركزية المسيح الأخلاقية باعتباره المخلص من الخطيئة الاصلية التي كانت تمنع الإنسان من الترقي الأخلاقي، وفي هذا المبحث نتناول مبادئ الفلسفة الأخلاقية في المسيحية الكاثوليكية من حيث مصادر الأخلاق، والإلزام الأخلاقي، والجزاء الأخلاقي، والحرية الإنسانية والمسؤولية،

[1] See: Catechism of the catholic church, Part 3, Section 1, Chapter 2, Article 2, II. The Common Good, No. 1907, 1908, 1909.

[2] Ibid, See: No. 1910, 1911.

[3] See: The Common Good and Catholic Social Teaching, from a 1996 statement by the Catholic Bishops' Conference of England and Wales, P4, on: https://www.cacatholic.org/sites/default/files/files/commongood-1.pdf.

قبل البدء بمصادر الأخلاق الكاثوليكية وما يُعرف بالشريعة الأخلاقية الجديدة؛ تجدر بنا الإشارة إلى ما يعتقده الكاثوليك فيما يتعلق بمصدر الأخلاق الذي يسبق الشريعة الأخلاقية الجديدة والقديمة، وهو المصدر الموجود في كل الناس ومن ضمنهم غير الكاثوليك باعتبارهم بشراً، إذ أن هذه النقطة ستُعيننا فيما بعد عندما نتناول مسألة الحرية والمسؤولية.

تعتقد الكاثوليكية أن هناك شريعة طبيعية حفرها الخالق في قلب كل إنسان تقوم على المشاركة في الحكمة والجودة الإلهيتين، وهي تعبر عن الحس الأخلاقي الأصلي الذي يمكن الإنسان من التمييز بعقله بين الخير والشر، هذه الشريعة شاملة ولا تتغير وهي التي تضع قواعد الواجبات والحقوق الأساسية للشخص الإنساني وللجماعة البشرية وللقانون المدني نفسه، إلا أنه بسبب الخطيئة الأصلية لا يُدرك الجميع دوما تلك الشريعة الطبيعية بوضوح مباشرة وبالتساوي. ولذلك لابد من قبول الشريعة الجديدة التي أعلنها وحققها المسيح، والتي تُعد ملء الشريعة الإلهية الطبيعية والموحى بها[1]، لكن هل من يجتهد في تمثل الأخلاق وفق الشريعة الطبيعية من غير الكاثوليك يمكنه أن يختار الشريعة الأخلاقية الجديدة؟ أم أنه مهما بلغ من الجهد فلن يستطيع اختيارها والأمر موقوف على النعمة الإلهية فقط؟ سنتناول هذه الإشكالية في موضعها.

أما إذا انتقلنا إلى مصادر الأخلاق الكاثوليكية؛ فقد جاء في مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية أن الشريعة الأخلاقية الجديدة موجودة في حياة المسيح وكرازته، بمعنى أنها موجودة في الأناجيل الأربعة باعتبارها روايات لسيرة حياة المسيح، ويمكن أن تُختصر بالوصية العظمى وهي "محبة الله والقريب، ومحبة بعضنا البعض كما أحبنا المسيح"[2]، إضافة إلى تعليم الرسل الديني والأخلاقي، أي باقي أسفار العهد الجديد، وتعتبر الكاثوليكية العظة على الجبل التعبير الأساسي عن الشريعة الأخلاقية[3].

ويحضر العهد القديم، باعتباره مرجعاً للأخلاق أيضاً، إذ يُعد بالنسبة للكاثوليكية الشريعة القديمة التي تُظهر ما يجب فعله وما يجب تجنبه، وعلى الخصوص تلعب دور المربي الحكيم في تهيئة الإنسان، وإعداده للتوبة ولتقبل الإنجيل، ورغم قداسة وروحانية الشريعة القديمة؛ إلا أنها بالنسبة للكاثوليكية ناقصة، فهي لا تمنح بذاتها قوة الروح القدس ونعمته للقيام بها[4].

ورغم اقتصار كتاب التعليم على تلك المصادر فيما يتعلق بالأخلاق؛ إلا أن هناك مصادراً تبعية ذات أهمية كبيرة في تطوير المفاهيم الأخلاقية الواردة في الكتاب المقدس والإضافة عليها، تلك المصادر هي تعاليم آباء الكنيسة، وتعاليم معلمي الكنيسة، والمجامع الكنسية. وسنقف فيما يلي عند كل مصدر بشيء من التفصيل.

إذا بدأنا بالأناجيل الأربعة التي يُفترض أنها تناولت سيرة حياة المسيح وكرازته؛ فلن نجد مذهباً أخلاقياً واحداً متسقاً من أول الأناجيل إلى آخرها، ولن نجد منظومة أخلاقية كاملة متماسكة كذلك، وإنما سنجد كما يذكر ألبرت بايه: أفكاراً متناقضة لا يُمكن إرجاعها إلى توجهين متعارضين فقط، إذ تصدر المفاهيم الأخلاقية في نقطة من النقاط عن توجهين، وتصدر في نقطة أخرى عن ثلاثة توجهات.[5]هذا على مستوى الأخلاق النظرية.

---

[1] المرجع السابق، ص127-128. بتصرف.

[2] وردت هذه الوصية العظمى في الأناجيل الثلاثة المتقاربة "متى، 22: 37-40"، "مرقس، 12: 28-34"، "لوقا، 10: 25-28".

[3] مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص6-8، 129. بتصرف.

[4] المرجع السابق، ص128. بتصرف.

[5] ألبرت بايه، أخلاق الإنجيل دراسة سوسيولوجية، ترجمة عادل العوا، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، 1997، ط1، ص113. بتصرف.

فعلى سبيل المثال يرى ألبرت فيما يخص العلاقة بين **الأخلاق والطقوس**؛ أن في الأناجيل ثلاثة اتجاهات: **الأول** يؤكد استقلال الأخلاق عن الطقوس ولا يُقر إلا الرجس الأخلاقي الباطني الذي في القلب، وأما الاتجاه **الثاني** فيؤيد طقوس التطهير الواردة في الشريعة الموسوية دون أن يُدخل عليها أي تعديل باعتبار أن المسيح ما جاء ليُبطل الناموس وإنما ليُكمله، وأما الاتجاه **الثالث** فيُقيم طقوساً جديدة كطقس الإفخارستيا.[1]

ويذكر ألبرت أن التناقض على مستوى النظرية أدى إلى تشكل مذهبين أخلاقيين متناقضين على مستوى الممارسة – الأخلاق العملية– **أحدهما ينطلق من مبدأ الفزع من العالم والانسحاب السلبي منه**، إذ يوصي بعدم القتل أبداً لا من أجل العقوبة ولا من أجل الدفاع عن النفس، بل ومن لطمك على خدك فحول له الآخر، وإذا أُخذ ثوبك فأعط رداءك، ولا تستل سيفك أبداً، وإذا اضطهدت فهلل فرحاً ... بع جميع أموالك وأعط ثمنها للفقراء، إن كنت أعزباً فلا تتزوج، أو كنت متزوجاً فامتنع عن الإنجاب، احتقر الجسمانية، أترك والديك وأبناءك وأبغضهم، ترقب الثورة الكبرى التي سترى انهيار العروش، وستجعل الأغنياء فقراء والأواخر أوائل. وأما الآخر؛ **يشكل أخلاقاً مبدؤها احترام العالم والتفاعل معه**، والحث على الصبر الفاعل الذي يجعل الإنسان مواطناً نافعاً ورب أسرة وعاملاً، إذ يوصي: ابتع سيفاً، أعدم المجرمين، إذا هدد الموت حياتك فاهرب إلى الجبل، إذا اضطهدت في مدينة فاهرب إلى أخرى، خذ كيساً ومزوداً، أشتغل لتكسب رزقك، استثمر أموالك بتوظيفها لدى أصحاب المصارف، تزوج وكن مع امرأتك جسداً واحداً، افرح إن أنجبت زوجتك ابنا، أكرم أباك وأمك.[2]

وأخيراً يذكر ألبرت، أنه حصلت محاولات جادة للتوفيق بين المذهبين الأخلاقيين المتناقضين، "ذلك أن شراح الأناجيل عندما يصطدمون بهذه التناقضات، يضعون على المستوى الأول النصوص المؤيدة لمذهبهم تاركين لها ملء معناها، ويتملصون من الأخرى بشرحها".[3] وهناك سبل متعدد للشرح ليس هذا مجال ذكرها، لكن الذي يهمنا هنا أن الشارح هو الذي يصنع وحدة المذهب الوحيد الذي يُقيمه، ثم ينعته بأخلاق الإنجيل، وما هو إلا الأخلاق التي صنعها هو من خلال نظره في الأناجيل.

أما فيما يخص التعاليم الدينية والأخلاقية للرسل، أي إلى باقي أسفار العهد الجديد؛ فسنكتفي باستعراض مصادر التعاليم الأخلاقية لبولس الرسول، وأبرز ما طوره فيما يتعلق بالجانب الأخلاقي.

لقد صرح بولس في أكثر من مناسبة أنه يهودي روماني من طرسوس، فمثلاً ورد في أعمال الرُسل الحوار الآتي في معرض اعتقال بولس في الهيكل: (وبينما بولس يدخل القلعة، قال لقائد الحامية: "أتسمح أن أقول لك شيئاً؟" فقال له: "أتعرف اليونانية؟ أما أنت المصري الذي أثار الفتنة من مدة وخرج بأربعة آلاف قاتل إلى الصحراء؟"، فقال بولس: "أنا يهودي ومواطن روماني من طرسوس في كيليكية، وهي مدينة معروفة جيداً، فأرجوا أن تأذن لي بأن أخاطب الشعب) "أعمال، 21: 37-39".

[1] المرجع السابق، ص17-22، 113-114. بتصرف. الكتاب يضم تفاصيل وأمثلة عديدة لا يتسع هذا البحث لعرضها.

[2] المرجع السابق، ص113، 116-118. بتصرف.

[3] المرجع السابق، ص119-120، 126. بتصرف.

هذا النص وغيره يُعطينا إشارة إلى المصادر التي استقى منها بولس الرسول تعاليمه الدينية والأخلاقية، والمتمثلة بالتأثير اليوناني والروماني، وتعاليم العهد القديم، وحياة مسيح الأناجيل وكرازته، وعمله هو ذاته على الفكرة الأخلاقية المثمرة لاتحاد المؤمن بالمسيح،[1] ونتناول هنا إشارات حول تأثيرات تلك المصادر.

فبالنسبة للتأثير **اليوناني**؛ وتحديداً الفترة الهلنستية؛ تأثر بولس ببعض تعاليم الفلسفة الرواقية، حيث كانت مدينته طرسوس معقلا شديداً للرواقية،[2] وقد وُلد بولس في أخلاقيات هذه الطائفة بقدر ما وُلد في أساليب الجدل الحاخامية، فنجد الأثر الرواقي القوي في العبارات التي يستخدمها وطرق تعامله مع الرذيلة[3]،كما يمكن أن نلحظ الأثر الرواقي في استشهاده بإحدى آيات الدعاء الشهير لزيوس في خطبته في أثينا، والتي تعود للشاعر الرواقي أراتوس (فنحن فيه نحيا ونتحرك ونوجد، كما قال أحدهم. ونحن أيضاً أبناؤه كما قال شاعر آخر من شُعرائكم) "أعمال، 17: 28".[4]

ومن المهم أن نشير هنا إلى عقيدة الجبر التي ظهرت في تعاليم بولس، والتي ربما نجد لها جذورا في الأناجيل الأربعة، مثلاً جاء في الرسالة إلى رومة قول بولس في معرض حديثه عن الله واختياره: (ويقول لي أحدكم: "فلماذا يلومنا الله؟ من يقدر أن يُقاوم مشيئته؟"، فأجيب: من أنت أيها الإنسان حتى تعترض على الله؟ أيقول المصنوع للصانع: لماذا صنعتني هكذا؟ أما يحق للخزاف أن يستعمل طينة كما يشاء، فيصنع من جبلة الطين نفسها إناء لاستعمال شريف، وإناءً آخر لاستعمال دنيء) "رومة، 9: 19-21". أما الأناجيل؛ فتظهر عقيدة الجبر في قصة يهوذا الإسخريوطي، يقول ألبرت بايه بهذا الصدد: "يرى الإنجيل الرابع أن يهوذا لص، ولكن سرقاته مهما بلغت حقارتها لا تعدل بخطرها إنكار بطرس، زد على ذلك أن بطرس يبكي بعد خطيئته ولكنه يحترس من التدخل لصالح المعلم. أما يهوذا، على العكس، فإنه يعيد إلى الكهنة الثلاثين قطعة من الفضة. وبذا لا يبدو أنه من الناحية الأخلاقية أدنى كثيراً من بطرس، وعلى الرغم من ذلك فإن بطرس سيصبح رأس الكنيسة، وسيصبح يهوذا الخائن المكروه إلى الأبد. لماذا؟ ذلك أنه كان من اللازم أن يتحقق المكتوب: (الذي يأكل معي الخبز رفع علي عقبه) "يوحنا، 13: 18"" – وستشف من ذلك – أن خيانة يهوذا جانب ضروري من الخطة التي رسمها الله، ولذا نجد يهوذا يُصبح في اللحظة المناسبة ابن الشيطان"[5]

ورغم هذا التشابه بين تعاليم بولس والأناجيل الأربعة فيما يخص عقيدة الجبر، إلا أننا نجدها أكثر وضوحاً في تعاليم بولس منها في الأناجيل، ويُمكن إرجاع ذلك إلى أثر عقيدة الجبر الرواقية على التعليم الديني والأخلاقي لبولس. ومن جانب آخر، لو أردنا التعمق قليلا بعد؛ فسنجد أن الفلسفة الرواقية تستمد الكثير من أفكارها من الفلسفات الشرقية، مما يُضيف مصدراً آخر خفي.

---

[1] George Jackson, The ethical teaching of St. Paul, biblical studies, p36, on: https://biblicalstudies.org.uk/pdf/expositor/series6/11-035.pdf.

[2] Ibid, p38.

[3] See: Percy Gardner, The Religious experience of Saint Paul, Williams & Norgate, New York, 1913, p141-142.

[4] Aratus, Britannica, on: https://www.britannica.com/biography/Aratus-Greek-poet.

[5] أخلاق الإنجيل دراسة سوسيولوجية، ص44.

أخيراً؛ يمكن أن نلحظ في رسائل بولس تفسيره الخاص للاعتقاد المسيحي في إطار خلفيته اليهودية والهلينستية، يذكر الدكتور محمد خليفة حسن أن بولس قد "خلط بين تعاليم أنبياء بني إسرائيل والخلاص الشخصي في العقائد السرية، فظهر عيسى المصلوب ليس على أنه مجرد المسيح الموعود؛ ولكن أيضاً الإله المخلص .. والخلاص عنده يتم من خلال التماثل مع موته وقيامته فيتغلب الإنسان على الخطيئة والفناء، وطبيعة الإنسان الآثمة صلبت مع عيسى وبالقيامة مع المسيح يعيش المسيح فينا. وبهذا جمع بولس بين الفكرة النبوية عن الله، والمفهوم الهلنستي عن الخلاص، وفكرة يوحنا عن حاجة الإنسان إلى الميلاد الروحي"[1].

وإلى جانب التأثير اليوناني؛ هناك التأثير **الروماني** الذي نكتفي فيه على ما أورده رامزي في كتابه "الكنيسة في الإمبراطورية الرومانية" : "لا يسعنا إلا أن نصدم بالتشبث القوي الذي كانت تشغله الأفكار الرومانية في ذهن بولس، ورغم أنه من الناحية النظرية يعترف بعالمية الكنيسة؛ إلا أنه عملياً يذهب حيث تذهب الإمبراطورية الرومانية، لذلك أشعر بالحاجة إلى افتراض أن القديس بولس قد تصور الفكرة العظيمة للمسيحية على أنها دين العالم الروماني".[2]

ويؤكد بولس في أعمال الرسل على اضطلاعه بالدراسات الحاخامية التي تتضمن دراسة **العهد القديم**: (أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس من كيليكية، لكني نشأت هنا في هذه المدينة، وتعلمت عند قدمي غمالائيل شريعة آبائنا تعليما صحيحاً، وكنت غيوراً على خدمة الله مثلكم أنتم جميعا في أيامنا هذه) "أعمال، 22: 3".

لقد ظهر أثر هذا "التعليم الصحيح" في العهد الجديد، ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى كثرة اقتباسات بولس من مختلف أسفار العهد القديم على طول تعليمه، ونذكر بعض المقاطع التي تُظهر هذا الأثر، ففيما يخص حرية الاختيار الإنسانية والإرادة: جاء في أعمال الرسل في معرض حديث بولس عن اختيار الله ليعقوب بدلا عن عيسو: (وقبل أن يُولد الصبيان ويعملا خيرا وشرا، وليتم ما اختاره الله بتدبيره القائم على دعوته لا على الأعمال، قال الله لرفقة: "الأكبر يستعبده الأصغر"، على ما ورد في الكتاب: "أحببت يعقوب وأبغضت عيسو"، فماذا نقول؟ أيكون عند الله ظلم؟ كلا! قال الله لموسى: أرحم من أرحم، وأشفق على من أشفق"، فالأمر لا يعود إلى إرادة الإنسان ولا إلى سعيه، بل إلى رحمة الله وحدها، ففي الكتاب قال الله لفرعون: "رفعتك لأظهر فيك قدرتي ويدعو الناس بإسمي في الأرض كلها"، فهو إذاً يرحم من يشاء ويقسي قلب من يشاء) "رومة، 9: 11-18"، ونلاحظ هنا امتزاج الرحمة الإلهية بالمفاهيم اليهودية.

وهناك مثال آخر في الرسالة إلى رومة: (لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء، بل دعوا هذا لغضب الله، فالكتاب يقول: "لي الانتقام، يقول الرب، وأنا الذي يُجازي") "رومة، 12: 19"، ونلاحظ هنا حضور وجه من أوجه الإله يهوه، إله بني إسرائيل الغيور الذي ينتقم لشعبه مع خلط ذلك ببعض مفاهيم الإنجيل المتعلقة بعدم رد الشر بالشر.

أخيراً، يقول الدكتور محمد خليفة عن الأثر اليهودي على تعاليم بولس الدينية والأخلاقية: "مفاهيمه الدينية كانت مفاهيم يهودية في أصولها، فالإله هو يهوه إله العبريين بعلاقته التاريخية الخاصة مع شعبه إسرائيل. كما كان فهمه للخطيئة فهما يهوديا، وكذلك

[1] محمد خليفة حسن، تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، دار الثقافة العربية، 2002، ص222. بتصرف.

[2] See: W. M. Ramsay, The church in the Roman Empire, Hodder and Stoughton, London, P147-148.

فهمه للشريعة، ولفكرة المملكة القادمة، والمسيح المنتظر الذي سيعلن هذه المملكة. وكذلك مثله الأخلاقية على المستوى الشخصي والجماعي. وكان أيضاً مفهومه عن الحب كتجسيد كامل لروح البر مفهوما يهوديا".[1]

أما فيما يخص تأثره **بالأناجيل الأربعة؛** فقد أعاد صياغة بعض تعاليم الأخلاقية الواردة في الأناجيل بصياغات مختلفة، فمثلاً في تعاليمه حول الزواج والطلاق يقول: (وأما المتزوجون فوصيتي لهم، وهي من الرب لا مني، أن لا تُفارق المرأة زوجها، وإن فارقته، فلتبق بغير زوج، أو فلتصالح زوجها، وعلى الزوج ألا يُطلق أمرأته) "1 كو، 7: 10-11"، وأيضاً: (ترتبط المرأة بشريعة الزواج ما دام زوجها حيا، فإن مات عادت حرة تتزوج من تشاء) "1 كو، 7: 39"، وهذه النصوص تحمل فحوى ما ورد في إنجيل متى من رد المسيح على الفريسيين: (أما قرأتم أن الخالق من البدء جعلهما ذكرا وأنثى وقال: لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويتحد بامرأته، فيصير الاثنان جسداً واحداً، فلا يكونان اثنين، بل جسد واحد، وما جمعه الله لا يُفرقه الإنسان)، ولما سأله الفريسيون عن الطلاق؛ أجابهم: (لقساوة قلوبكم أجاز لكم موسى أن تُطلقوا نساءكم، وما كان الأمر من البدء هكذا، أما أنا فأقول لكم: من طلق امرأته إلا في حالة الزنى وتزوج غيرها زنى) "متى، 19: 4-6، 8-9".

إلى جانب تأثر بولس بتعاليم الأناجيل الأخلاقية؛ نجده يذكر **اجتهاداته الخاصة باعتبار أنها معينة على الاتحاد بالمسيح**، ويُنبه على أنها منه وليست من الرب، فمثلا في نفس النصوص المتعلقة بالزواج والطلاق؛ يذكر بولس رأيه قائلا: (أما غير المتزوجين فلا وصية لهم عندي من الرب، ولكني أُعطي رأيي كرجل جعلته رحمة الرب موضع ثقة، فأقول إنه من الخير، نظراً إلى ما في الوقت الحاضر من ضيق، أن يبقى الإنسان على حاله، هل أنت مقترن بامرأة؟ إذا لا تطلب الانفصال عنها، هل أنت غير مقترن بامرأة؟ إذا لا تطلب الزواج بامرأة، وإذا تزوجت فأنت لا تُخطئ، ولكن الذين يتزوجون يجدون مشقة في هموم الحياة، وأنا أريد أن أُبعدها عنكم) "1 كو، 7: 25-28".

وإلى جانب كل تلك المصادر؛ نشير إلى أبرز ما طوره بولس فيما يتعلق بدعوة المسيح وتعاليمه الأخلاقية، حيث حرفها من الخصوصية إلى العالمية، إذ أن دعوة عيسى عليه السلام كانت حركة إصلاحية داخل الديانة اليهودية التي طغت عليها المادية، ومن ثم فهي خاصة بني إسرائيل وليست عالمية، وقد ورد في الأناجيل ما يؤكد ذلك، فقد جاء في إنجيل متى على لسان المسيح الذي يُوصى رسله الاثني عشر: (لا تقصدوا أرضاً وثنية ولا تدخلوا مدينة سامرية، بل اذهبوا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل) "متى، 10: 5-6"، وأيضاً في حادثة المرأة الكنعانية التي طلبت من يسوع أن يشفي ابنتها: (ما أرسلني الله إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل .. لا يجوز أن يُؤخذ خبز البنين ويرمى إلى الكلاب)[2] "متى، 15: 24، 26".

لكن بولس حرف هذه الدعوة نحو العالمية، بحيث تشمل غير اليهود،[3] ومن ثم فإن عالمية البشارة والأخلاق المسيحية للإنسانية جمعاء ليست أصيلة في تعاليم المسيح وكرازته، بل هو تعبير عن التحريف الذي أجراه بولس، وقد يُقال: إن البشارة لغير اليهود هي مرحلة

---

[1] تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، ص221.

[2] وردت قصة المرأة الكنعانية أيضاً في "مرقس، 7: 24-30".

[3] بما أن البحث لا يتناول موضوع التحريف؛ فلن يتم التفصيل بهذا الخصوص، لكن نُحيل القارئ الكريم إلى نصوص العهد الجديد الآتية ليتبين كيف حرف بولس دعوة المسيح نحو العالمية: "أعمال، 13: 46-47"، "أعمال، 14: 27-28"، "أعمال، 22: 18-21"، "أفسس، 5-9".

متأخرة من دعوة المسيح كما تدعي الكاثوليكية[1]، والدليل أن المسيح بعد قيامته من بين الأموات والتقاءه بتلاميذه أمرهم بدعوة الأمم، جاء ذلك في الأناجيل الثلاثة المتقاربة "متى، 18-20"، "مرقس، 16: 15"، "لوقا، 24: 47"، إلا أن إنجيل يوحنا يناقض هذه الرواية، وينص على الآتي: (وبعدما أكلوا، قال يسوع لسمعان بُطرس: "يا سمعان أتحبني أكثر مما يحبني هؤلاء؟"، فأجابه: "نعم يا رب، أنت تعرف أني أحبك"، فقال له: "ارع خرافي") "يوحنا، 21: 15" وقد كرر المسيح عبارة "ارع خرافي" ثلاث مرات، وهي تتطابق مع أقوال المسيح في أثناء حياته، ووجود هذا التناقض بين روايات الأناجيل دليل واضح على التحريف، كما أنه من الناحية العلمية التاريخية لا يمكن إثبات رواية القيامة تلك، فضلاً عن موثوقية الأخذ بكلام شخص قام من الموت.

أما الآن فلابد أن نتطرق إلى التعبير الأساسي للشريعة الأخلاقية الجديدة وهي موعظة الجبل، التي وردت في إنجيل "متى، 5، 6، 7"، وذُكرت مواضيعها الأساسية في إنجيل لوقا ابتداءً من "لوقا، 6: 20-23"، وهي عبارة عن مجموعة من الوصايا الأخلاقية ذات الطابع المعنوي الروحي وليس القانوني، وقد ركزت على قيم كالمحبة حتى مع الأعداء، والزهد والسلام، إضافة إلى القيم الاجتماعية والأسرية.

كما وجاءت فيها الصلاة المسيحية الأساسية، الصلاة الربية أو صلاة الأبانا ذات مضامين أخلاقية: (أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك في الأرض كما في السماء، أعطنا خبزنا اليومي، واغفر لنا ذنوبنا كما غفرنا نحن للمذنبين إلينا ولا تدخلنا في التجربة، لكن نجنا من الشرير) "متى، 6: 9-13" و "لوقا، 11: 2-4".

وإلى جانب العهد الجديد بكافة مفرداته الأخلاقية، عادت الكاثوليكية إلى العهد القديم، واعتمدت على بعض نصوصه المتعلقة بالقيم الأخلاقية بشكل عام بغية التأصيل للقيم الكاثوليكية ابتداءً من الشريعة الأخلاقية القديمة، إضافة إلى الاعتماد على الوصايا العشر بشكل خاص، ولنا هنا ملحوظتان مهمتان:

الأولى: هي أن استشهاد الدراسات الكاثوليكية ببعض النصوص الأخلاقية الواردة في العهد القديم؛ استشهاد انتقائي لا يُراعي التناقض الأخلاقي الحاصل في الأخير، وحتى إن قالوا أن الشريعة القديمة ناقصة، فهم في ذات الوقت قالوا أنها تلعب دور المربي الحكيم، ثم وفق أي معيار يتم هذا الانتقاء؟ فمثلا نجد نصوصا واضحة في العهد القديم تؤكد على قيمة العدل وتحث على عدم ظلم أحد حتى غير اليهودي، ونصوص أخرى لا تقل وضوحاً شديدة العنصرية والظلم مع غير اليهودي، ونذكر مثلاً على تلك الاستشهادات الانتقائية، استشهاد بعض الدراسات بالنص الوارد في سفر إرميا: (هكذا يقول الرب: أجروا الحكم والعدل، وأنقذوا المسلوب من يد الظالم، ولا تعسفوا النزيل واليتيم والأرملة، ولا تجوروا عليهم، ولا تسفكوا الدم الزكي في هذا الموضع) "إرميا، 22: 3"[2]، بينما تغض الطرف عن نصوص تناقض هذا النص مثل: (وإذا افتقر إسرائيلي وباع نفسه لك، فلا تستخدمه خدمة العبيد، بل كأجير ومقيم يكون معك ويخدمك إلى سنة اليوبيل، ثم يخرج من عندك، هو وبنوه معه، ويرجع إلى عشيرته وملك آبائه. فبنو إسرائيل الذين أخرجتهم من أرض مصر هم عبادي ولا يُباعون بيع العبيد، ولا تتسلط عليه بعنف، بل اتق إلهك، من الأمم الذين جواليكم تقتنون العبيد والإماء، وتقتنونهم أيضا من أبناء الغرباء المقيمين معكم ومن عشائرهم الذين عندكم، المولودين في أرضكم. هؤلاء تأخذونهم لكم، وتورثونهم لبنيكم من بعدكم ملكا لهم، فيستعبدونهم ما داموا أحياءً، وأما إخوتكم بنو إسرائيل، فلا يتسلط

[1] دستور عقائدي في الوحي الإلهي، البطريركية اللاتينية القدس، ص3. بتصرف.

[2] يُنظر على سبيل المثال: مقالات في الأخلاق والحياة المسيحية: العدل في اللاهوت المسيحي، ص124.

أحدهم على آخر بعنف) "اللاويين، 25: 39-46"، وأيضاً: (لا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم بربى يدفعونه إليكم فضة أو طعاما أو أي شيء آخر مما يُقرض بالربى، بل أقرضوا الغريب بالربى ولا تقرضوا إخوتكم من بني قومكم، فيبارك الرب إلهكم جميع أعمال أيديكم في الأرض التي أنتم داخلون لتمتلكوها) "التثنية، 23: 20-21".

أما الملحوظة الثانية: فهي أن الكاثوليكية تعتقد بأن الوصايا العشر التي وردت مرة في سفر "الخروج، 20: 1-17"، ومرة أخرى في سفر "التثنية، 5: 6-21"، لم تُبطل، إذ أن المسيح قد أكد عليها في إنجيل متى عندما سأله الشاب الغني: (أيها المعلم، ماذا أعمل من الصلاح لأنال الحياة الأبدية؟)، فكان رد المسيح: (إذا أردت أن تدخل الحياة فاعمل بالوصايا)، فقال له الشاب: (أي وصايا)، فرد المسيح: (لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد بالزور، أكرم أباك وأمك، أحب قريبك مثلما تُحب نفسك)، فقال الشاب: (عملت بهذه الوصايا كلها، فما يعوزني؟)، أجابه المسيح: (إذا أردت أن تكون كاملا، فاذهب وبع ما تملكه ووزع ثمنه على الفقراء، فيكون لك كنز في السماوات، وتعال اتبعني) "متى، 19: 16-21.

ورغم أن وصايا الإله لموسى لم تُبطل؛ إلا أن الإنسان في اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية (مدعو إلى أن يجدها في شخص المعلم الإلهي الذي يحققها تحقيقا كاملاً في ذاته، ويكشف عن مدلولها الكامل، وأثبت دوامها)[1]، ونلاحظ هنا التأكيد على مركزية المسيح الأخلاقية التي أشرنا إليها فيما تقدم.

وبالإضافة على ذلك؛ ترى الكاثوليكية أن "يسوع يشرح الوصايا في ضوء الوصية الواحدة والمزدوجة، وصية المحبة، كمال الشريعة: (أحبب الرب إلهك من كل قلبك، وكل نفسك، وكل ذهنك، هذه هي الوصية الكبرى والأولى، والثانية تشبهها: أحبب قريبك كنفسك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء) "متى، 22: 37-40""[2]، ونلمس هنا الانتقال من الطابع القانوني للوصايا في العهد القديم، إلى الطابع المعنوي الروحي في العهد الجديد، حيث طغت قيمة المحبة لتشمل كل الوصايا، إضافة إلى ملاحظة استبعاد الوصية المتعلقة بتقديس يوم السبت باعتباره يوم الرب في العهد القديم، واستبداله بيوم الأحد باعتباره اليوم الذي قام فيه المسيح من بين الأموات في الاعتقاد المسيحي.

وبعد أن انتهينا من الحديث عن المصادر الرئيسة للأخلاق؛ ننتقل الآن إلى المصادر التبعية التي لا تقل أهمية عنها، ويمكن أن نبدأ بالحديث عن "**اللاهوت الأخلاقي Moral Theology**"، وهو فرع منفصل من فروع اللاهوت يدرس سلوك المسيحيين الأخلاقي، وقد بدأ استخدام هذا المصطلح بشكل رسمي منذ نهاية القرن السادس عشر للميلاد والنهضة التومائية (نسبة إلى توما الأكويني) التي أعقبت مجمع ترينتو Trent[3] 1545 – 1563م، إلا أن الاعتبارات الرسمية للسلوك الأخلاقي المسيحي –أي المصادر الأصلية– قديمة بقدم العهد الجديد الذي يُسجل التعليم الأخلاقي للمسيح ولبولس كما تم تطبيقه في المجتمع المسيحي المبكر.[4]

[1] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص133.

[2] المرجع السابق، ص133.

[3] مجمع تورنتو هو المجمع الذي عُقد للرد على الإصلاح البروتستانتي الذي وُصف بأنه تجسيد للإصلاح المضاد للكنيسة الكاثوليكية.

[4] John Mahoney, The Making of Moral Theology, oxford – Clarendon, New York, 1987, p viii.

ومن أبرز أعلام اللاهوت الأخلاقي: القديس أوغسطينوس، والقديس توما الأكويني، فالأول يُعد أحد آباء الكنيسة الأوائل، والثاني أحد معلمي الكنيسة الثلاثة والثلاثين، وفيما يلي ذكر لإسهاماتهما في المجال الأخلاقي.

تعاليم آباء الكنيسة: القديس أوغسطينوس Saint Augustine 354 – 430 م نموذجاً:

لقد آمن أوغسطينوس بالمسيحية بناءً على عدد من الأدلة والعلامات، وبعد ذلك قرأ رسائل أفلوطين التي أفادته في حل مشكلات عقلية كانت تحول بينه وبين فهم المسيحية، ولذلك توهم بأنه قد وجد مفردات العقيدة المسيحية في فلسفة أفلوطين بحيث يمكن القول: إنه أحال أفلوطين مسيحياً، لا أنه انقلب أفلوطينياً.[1]

ونذكر بعضاً من أبرز المسائل الأخلاقية التي قام بتطويرها لعدم اتساع المجال هنا لها جميعها:

نبدأ بتعاليمه حول الأخلاق الجنسية التي سيطرة على الفكر الكاثوليكي،[2] وخلاصتها أن الشهوة الجسدية إن هي إلا عقوبة على الخطيئة الأصلية، وهي سيئة لأنها خارجة عن سلطان الإرادة الإنسانية، ولذلك يشعر الزوجان بالخجل أثناء ممارسة العلاقة الحميمية رغم أن الإنسان الأول لم يشعر بأي من ذلك قبل الوقوع في الخطيئة، وقد أخذ أوغسطينوس يفترض ويتكهن حول ما كان عليه الإنسان قبل سقوطه وما تبعه من عار، إلا أنه يؤكد أن الله هو الذي أسس الزواج وباركه منذ البداية لأنه (ذكراً وانثى خلقهما) وخاطبهما قائلاً: (أنميا واكثرا واملأا الأرض وأخضعاها)[3].

إضافة إلى ما سبق؛ يمكن اعتباره مؤسس العقيدة المسيحية للحرب العادلة،[4]فقد جاء في كتابه الرد على فاوستس **Contra Faustum** أن الحروب العادلة هي تلك التي تُشن بأوامر إلهية كحروب موسى ضد المصريين، والله في إعطاءه الأمر بالحرب لم يكن يتصرف بدافع القسوة؛ وإنما بدافع الانتقام الصالح لإعطاء الجميع ما يستحقونه وتحذير الذين يحتاجون إلى التحذير. ويستطرد أوغسطينوس متسائلاً: ما الشر في الحرب؟ هل هو موت بعض الناس الذين سيموتون قريبا على أية حال؟ وقد يعيش آخرون في خضوع سلمي؟ فيجيب: هذا مجرد كره جبان وليس له علاقة بأي شعور ديني. إلا أنه ينحى منحى آخر فيقول: الشرور الحقيقية في الحرب هي حب العنف، والقسوة الانتقامية، والعداوة الشرسة التي لا تلين، والمقاومة الوحشية وشهوة القوة وما إلى ذلك، وعادة ما يتم معاقبة هذه الأشياء، لكن عندما تكون القوة مطلوبة لإنزال العقوبة؛ فإن الرجال الصالحين يخوضون الحروب طاعة لله أو لبعض السلطات الشرعية، وتعتمد الحرب العادلة في قدر كبير منها على الأسباب التي من أجلها يشن الرجال الحروب، وعلى السلطة التي يتمتعون بها [5]، وبهذا يكون للملك السلطة في شن الحرب إذا كان يعتقد أن ذلك مستحسن، وعلى الجنود أن يقوموا بواجباتهم العسكرية من أجل سلام وأمن المجتمع. ويطول كلام أوغسطينوس في هذا الصدد، لكن يكفينا هذا القدر لإيضاح الفكرة.

---

[1] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، 2017، ص24-25. بتصرف.

[2] Ibid, See: p.g:43.

[3] أوغسطينوس. مدينة الله، نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت 2007، ط2، ج2، ص179-210. بتصرف.

[4] Ibid, See: p.g43.

[5] لم نجد الكتاب على الانترنت، لكننا وجدنا نصوصه في موقع لنصوص الكنيسة المبكرة، وهو أحد المصادر الأكثر شمولاً على الانترنت للدراسات المسيحية المبكرة.

See: Augustine on the "Just War" from Contra Faustum Manichaeum, book 22. 69 – 76, early church texts, on: https://earlychurchtexts.com/public/augustine_war_contra_faustum.htm.

تعاليم معلمي الكنيسة: الراهب الدومينيكاني توما الأكويني Thomas Aquinas 1225-1274 م نموذجاً:

لقد تأثر توما كثيراً بأرسطو الذي تعرف عليه أولاً من خلال فلسفة ابن رشد، فعمل على استخدام قواعد التفكير المنطقي لإثبات العقائد الكاثوليكية، ولأنه كان بحاجة للرد على "الكافرين" الذين لا يؤمنون بالمسيحية؛ فقد اضطر للرجوع إلى العقل الطبيعي في إثبات صحة العقائد المسيحية رغم قصور ذلك العقل فيما يخص الإله، إذ بمقدوره إثبات وجود الإله وخلود الروح، ولكنه لا يستطيع أن يثبت الثالوث ولا التجسيد ولا يوم الحساب، وقد تبنت الكنيسة الكاثوليكية أعمال توما الأكويني بشكل رسمي.[1]

إن من بين أبرز ما طوره الأكويني فيما يتعلق بالمجال الأخلاقي هو تنقيحه لفكرة الشريعة الطبيعية الموجودة في كل إنسان بأصل خلقته، إذ هي المبادئ الأولى للأفعال الإنسانية، وقد كان رسم الشريعة الأول هو أنه يجب فعل الخير واجتلابه وترك الشر واجتنابه وإلى هذا تستند سائر مبادئ الشريعة الطبيعية، أو يمكن القول باختصار: أن في الإنسان فطرة -إن صح التعبير- يُسميها توما الشريعة الطبيعية تمكنه من التمييز بين الخير والشر، وتدفعه لفعل الأول واجتناب الثاني، إلا أن تلك الشريعة لا تتطابق مع الناموس الإلهي والإنجيل تمام المطابقة، فقد ورد في الأخيرين كثير مما هو فوق الطبيعة[2]. بمعنى أن الوحي الإلهي يحسن ويُقبح بعض الأفعال التي لا يدرك الإنسان أنها قبيحة أو حسنة من خلال فطرته، وقد يحسن فعل شيء رغم شعور الإنسان بقبحه فقط لأن الإله أمر به، فمثلاً: "مجامعة الرجل لأية امرأة كانت بأمر الله ليست فسقا ولا زنى، وكذا يقال في السرقة التي هي أخذ مال الغير لأن كل ما يأخذه آخذ بأمر الله الذي هو رب الكائنات ليس يأخذه دون إرادة صاحبه فلا يكون سرقة"[3]، وقد جاء هذا الكلام في معرض تبرير ورود قصص في العهد القديم أمر الإله فيها اليهود أن يسلبوا المصريين الآنية المستعارة، وقصة أخرى أمر فيها هوشع أن يتخذ له امرأة زانية،[4] ومن الواضح أن هذه الحوادث ليس لها مُبرر أخلاقي.

ويضيف توما بعد ذلك أن "الذنب يمحو الشريعة الطبيعية باعتبار بعض الجزئيات لا مطلقاً... وإن كانت النعمة أفعل من الطبيعة؛ إلا أن الطبيعة أدخل في الإنسان فهي إذا أبقى".[5] ويكفينا أن نشير هنا إلى استفادة الكنيسة الكاثوليكية من فكرة الشريعة الطبيعية فيما يتعلق بتعليمها الديني والأخلاقي كما سبق ووضحنا في بداية هذا المطلب.

وبعد استعراضنا لتعاليم أوغسطينوس وتوما الأخلاقية؛ لابد أن نشير إلى دور المجامع الكنسية في تطوير المفاهيم الأخلاقية، فمن المعروف أن العقيدة المسيحية تطورت ولازالت تتطور عبر تلك المجامع التي تُعقد من فترة إلى أخرى، وبما أن الأخلاق المسيحية مرتبطة بالعقيدة؛ يلزم عن ذلك تطور بعض المفاهيم الأخلاقية بالاتساق مع التطور العقدي، ولا يسع المجال هنا لتتبع كل المجامع الكنسية بغية دراسة التطور الأخلاقي، لكن يكفي أن نأخذ نموذجاً يوضح المقصود، مثلاً: دعا البابا أوربان الثاني Urban II في 18 نوفمبر 1095 إلى مجمع كليرمون Clermont الذي يُعد تجمعاً لإصلاح الكنيسة، وقد أصبح مناسبة لبدء الحملة الصليبية

---

[1] برتراند راسل، تاريخ الفلسفة الغربية: فلسفة العصور الوسيطة، ترجمة زكي نجيب محمود، التنوير، تونس، 2018، ط1، ص169-171. بتصرف

[2] توما الأكويني، الخلاصة اللاهوتية، ترجمة من اللاتينية إلى العربية المطران بولس عواد، المطبعة الأدبية، بيروت 1908، المجلد 5، المبحث 64، الفصل 2، ص6. والفصل 4، ص12. بتصرف.

[3] المرجع السابق، الفصل 5، ص13-14.

[4] المرجع السابق، الفصل 5، ص12. بتصرف بسيط.

[5] المرجع السابق، الفصل 6، ص15.

الأولى إلى القدس، وفيه تم التعامل مع الكثير من الأعمال الكنسية المهمة، مما أدى إلى سلسلة من الشرائع، من بينها واحدة جددت سلام الله، وأخرى منحت تساهلا عاماً، حيث أقرت أن المشاركة في الحملة الصليبية إلى القدس يُحسب تكفيراً لكل الذنوب.[1] نلاحظ هنا أن تجديد سلام الله اقترن بإباحة القتل الدموي غير الأخلاقي للآخر المسلم دون مراعاة لوضعه أو عمره أو جنسه، ومن الواضح جداً أن ذلك يتعارض والفضائل الإلهية الثلاث التي يعتقد بها الكاثوليك (المحبة والرجاء والإيمان)، إضافة إلى أنه قد تم ربط هذه الحروب الصليبية بعقيدة التكفير عن الذنوب والخطايا لتحقيق الخلاص، ويمكن أن نفهم هذا "الإصلاحات الجديدة" في سياق شعور الكنيسة بالخطر الوجودي إزاء المد الحضاري الإسلامي.

وفي ختام هذا المطلب يمكننا القول أن الفلسفة الأخلاقية المسيحية لم تكتمل بانتهاء فترة وجود المسيح على الأرض، بل إن المفاهيم الأخلاقية الكاثوليكية خضعت ولازالت تخضع للتطور بتطور الزمان والأحوال وبنوع المؤثرات، ومن ثم فإنه من الصعب الحديث عن منظومة أخلاقية أصيلة.

3.2. الإلزام والجزاء الأخلاقي والحرية والمسؤولية الإنسانية:

أولاً: الإلزام الأخلاقي:

رغم تمركز الأخلاق حول المسيح باعتباره المثال الأخلاقي الذي يدفع الكاثوليك للالتزام بالفضائل الأخلاقية ليُصبحوا على مثال المسيح ويشاركوا في ملكوته السماوي وينعموا بالنعيم الأبدي؛ إلا أننا نلحظ تعويل الكاثوليكية الكبير على الضمير الأخلاقي فيما يتعلق بالالتزام بالأخلاق، إذ يُمكن القول أن مصدر الإلزام الرئيس والأساس هو الضمير –إضافة إلى الرجاء والخوف من الجزاء الأخروي– ولذلك حظي الضمير باهتمام واسع وتم التأكيد على ضرورة تربيته، كما وتم التنبيه إلى بعض الأخطاء التي قد يقع بها الضمير الأخلاقي، وفيما يلي نذكر أهم ما يتعلق بالضمير في الاعتقاد الكاثوليكي.

لقد توصلت الكاثوليكية إلى أن الإله عندما خلق الإنسان بذر فيه بذرة تمكنه من التمييز ، وإن إلى حد معين، بين الخير والشر، ولذلك تحدثت توما الأكويني عن الشريعة الطبيعية التي طبعها الإله في نفس كل إنسان، والتي تم التطرق إليها مسبقا، وإلى جانب هذه الشريعة الطبيعية التي يُمكن التعبير عنها بالفطرة؛ منح الإله الإنسان ضميراً أخلاقيا يعتقد الكاثوليك أنه موجود في قلب كل شخص وهو عبارة عن "حكم صادر عن العقل في الوقت المناسب يوعز للإنسان أن يفعل الخير ويتجنب الشر"، ومن ثم فإنه يستطيع إدراك الصفة الأخلاقية للفعل الذي سيفعله مستقبلا أو قد فعله مسبقا،[2] وهو عندما يدرك ذلك يكون مختارا لفعل الخير أو الشر ومن ثم فهو يتحمل مسؤولية تلك الأفعال، وفي حقيقة معنى الحرية والمسؤولية شيء من التفصيل والتعقيد نتناوله في موضعه.

---

[1] See: Council of Clermont, Britannica Academic, on: https://academic-eb-com.eres.qnl.qa/levels/collegiate/article/Council-of-Clermont/24350.
Close to it: The Making of Moral Theology, p.g:13.

[2] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص115. بتصرف.
ويُنظر: دستور رعائي في الكنيسة في عالم اليوم، البطريركية اللاتينية القدس، ص10. بتصرف.

وبما أن الضمير قاعدة أساسية للالتزام بالأخلاق، والالتزام بالأخلاق يؤدي إلى العيش بكرامة؛ فلا مناص من ضرورة تربية الضمير بالوسائل المختلفة والعمل على استقامته بحيث يتوافق مع العقل والدين أو الشريعة الإلهية، أي أن الكاثوليكية تدفع نحو القول بأنه لا تعارض بين الضمير الأخلاقي المستقيم والعقل البشري المستنير والشريعة الإلهية، ولتحقيق استقامة الضمير الأخلاقي بحيث يتوافق مع الأخيرين؛ تلعب التربية وتقبل كلام الله وتعاليم الكنيسة دورا أساسيا؛ هذا بالإضافة إلى مؤازرة مواهب الروح القدس وإرشاد الحُكماء ممن يثق بهم، كما وتلعب العبادة كالصلاة ومحاسبة الضمير بشكل مستمر دورا مُساعدا لا يقل أهمية عن الأدوار الأخرى[1].

وللتأكد من استقامة الضمير أخلاقيا بعد التربية؛ يفترض أن يلحظ الإنسان أن ضميره يعمل من خلال استحضار ثلاث قواعد أساسية أولها: ألا يسمح إطلاقا لصاحبه بفعل الشر ليُنتج الخير منه، أي أن الغاية لا تبرر الوسيلة، وثانيها: ما جاء في إنجيل متى (كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم فافعلوه أنتم أيضا بهم) "متى، 12:7" أي عامل الناس كما تُحب أن تُعامل، وثالثها: المحبة تكون دائما في سياق احترام القريب وضميره، وإن كان ذلك لا يعني أن تقبل ما هو شر باعتباره خيراً[2].

ورغم كل ما سبق من التعويل على الضمير؛ إلا أن الضمير غير معصوم عن الخطأ، فقد يُصور للإنسان أحكاما خاطئة لأسباب قد تكون عائدة إلى تقصير الأخير ومن ثم فهو مسؤول عنها، أو قد تكون بلا إرادة منه ومن ثم لا يُحاسب عليها، ومن هنا تظهر أهمية المواظبة على إصلاح الضمير وتربيته، ورغم إدراك الكاثوليكية لهذا القصور؛ إلا أنها تؤكد على ضرورة اتباع الإنسان لأحكام ضميره وقد يصل هذا التأكيد إلى حد إلزام الشخص دائما بالخضوع لحكم ضميره الذي يعتقد بأنه أكيد،[3] وقد أنتج هذا إشكالية متعلقة بكيفية تعامل الإنسان في حال تعارض حكم ضميره الذي يعتقد صحته مع تعليم من تعاليم الكنيسة في بعض الأحيان؛ فأيهما يتبع؟ وأيهما مُقدم على الآخر؟

لقد عبر "برين باترك جرين" عن ذات الإشكالية وضرب مثالا واقعيا عن ظهور نقطة توتر بين ضمير الفرد الأخلاقي وتعاليم الكنيسة، وذلك أنه "عندما أصدر البابا بولس السادس رسالة عامة في 1968، أصبحت التعاليم الكاثوليكية حول وسائل منع الحمل مصدر نقاش كبير في الكنيسة، حيث شددت السلطة التعليمية في الكنيسة على أولوية تنشئة الضمير على التعليم القدير حول منع الحمل، بينما شدد آخرون على أولوية الضمير في اتخاذ القرار الأخلاقي"، ويعقب جرين أنه: "رغم أن كلا الفريقين يستخدمان نفس التقليد الكاثوليكي، إلا أن كل منهما يركز على أجزاء مختلفة منه مما يعزز تشكيل أحكام أخلاقية مختلفة".[4] ولا يفوتنا في هذا الصدد ملاحظة أن التعارض الذي قد يقع بين حكم الضمير الأخلاقي وبين تعاليم الكنيسة، يقع غالبا في القضايا

---

[1] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص116. بتصرف.

[2] المرجع السابق، ص116.

[3] See: Catechism of the Catholic Church, Part 3, Section 1, Chapter1, Artical6, IV. Erroneous Judgment, No. 1790 – 1794.

[4] See: Brian Patrick Green, Catholicism and Conscience, Markkula Center for applied ethics at santa clara University, on: https://www.scu.edu/ethics/focus-areas/religious-and-catholic-ethics/resources/catholicism-and-conscience/.

الحياتية المستجدة التي لم تكن مطروحة من قبل ولا يوجد نص واضح في كيفية التعامل معها، ومن ثم قد تحاول الكنيسة تقديم بعض الحلول، لكن تلك الحلول قد لا تكون مقنعة للضمير الأخلاقي الفردي كما في مثال وسائل منع الحمل.

ختاما؛ يمكن أن نخلص إلى أن الكاثوليكية فعلاً تُعول على الضمير للالتزام بالشريعة الأخلاقية الكاملة، وتُعطي أهمية كبيرة لحكم الضمير، للحد الذي قد يجعل الضمير في بعض الأحيان مصدراً للحكم الأخلاقي وملزماً له، إلا أنها لا تستغني عن توجيه هذا الضمير وتنشئته إلى ما تراه يتناسب وحكم الضمير السليم، لكن قد تقع إشكالات منها صعوبة التوفيق بعض الأحيان بين حكم الضمير وتعاليم الكنيسة، أضف إلى ذلك أن نسبة قوة الضمير تختلف من شخص لآخر نتيجة تأثير عوامل مختلفة؛ ومن ثم يصعب اعتباره مصدراً قوياً للالتزام بالفضائل الأخلاقية التي تعتبرها الكنيسة الكاثوليكية أخلاق المسيح.

ثانياً: الجزاء الأخلاقي:

قبل البدء بالحديث عن الجزاء النهائي للالتزام بالأخلاق؛ يلزمنا أن نشير هنا إلى ثنائية النفس والجسد، فالنفس هي الجانب الخالد في الإنسان، وأما الجسد فيمثل الإنسان في وضعه الضعيف والمائت، إذ أنه بسبب الخطيئة الأصلية عُوقب الإنسان بالموت، ولما أراد الله مصالحة البشر أرسل كلمته الذي صار جسداً لكي يفتدي هذا الجسد المائت، ولما قام المسيح من بين الأموات انتصر على الموت، فلم يعد الموت عقاباً بل بداية لحياة أبدية، ولذلك يؤمن الكاثوليك بقيامة الجسد الإنساني كما قام المسيح من بين الأموات وأصبح حياً إلى الأبد، وكذلك سيُحيي أتباعه جميعا في اليوم الآخر في جسد لا يناله الفساد، يقول إنجيل يوحنا: (فالذين عملوا الصالحات يقومون للحياة، والذين عملوا السيئات يقومون للدينونة) "يوحنا، 5: 29".[1]

إلا أن هناك مرحلتين فيما يتعلق بالحياة بعد الموت، فهناك دينونة معنية خاصة بالروح دون الجسد، وتبدأ بموت الإنسان المعين مباشرة وتُسمى بالدينونة الفردية **particular Judgment**، وهناك الدينونة الأخير العامة **General Judgment** التي تعود فيها الروح للاتحاد بالجسد عندما يتحول الأخير عند مجيء المسيح الثاني، ونلحظ هنا أن الدينونة الأخيرة تشمل النفس والجسد الذي تختلف طبيعته عن الجسد الحالي.[2]

أما بالنسبة لتصور الكاثوليكية للجنة والنار فهي تعتبر أنهما ليسا مكانين حقيقيين يمكن رصدهما مادياً؛ وإنما هما حالة **State**، فالجنة هي حالة من النعيم التي يحظى بها الذين قبلوا دعوة الرب وهي ملء الشركة مع الرب والقديسين Heaven is Fullness of Communion with God، وهي العلاقة الحية الشخصية مع الثالوث الأقدس، وأما النار أو الجحيم فهو حالة اللعنة الأبدية للذين رفضوا الرب Hell is the State of Those who Reject God، و Hell is a state of eternal damnation، ورغم أن بعض النصوص المقدسة تُصور الجنة والجحيم تصورياً ماديا باعتبارهما مكانين؛ إلا أن هذه النصوص وفقا

[1] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص68-69. بتصرف.

[2] See: Paul Thigpen, After Death-Two judgment, Simply Catholic, on: https://simplycatholic.com/after-death-two-judgments/.

للبابا يوحنا بولس الثاني **Pope John Paul II** لا ينبغي أن تُفهم بمعناها الظاهر وإنما تؤول باعتبارها حالة الانفصال أو الاتصال بالرب كما ذكرنا مسبقا.[1]

ورغم تأكيد الكاثوليكية على أبدية النعيم وأبدية العذاب للروح والجسد بعد الدينونة الأخيرة؛ إلا أنه لا ترد تفاصيل عن طبيعة ذلك النعيم بما يحبب الإنسان بالالتزام، أو طبيعة العذاب الذي يزجر الإنسان عن ارتكاب الخطايا، وفي تقديرنا ذلك يؤثر بشكل أقل على الالتزام بالأخلاق، إذ أن تفصيل النعيم والعذاب وتكراره يُربي الإنسان على التقدير المستمر لأعماله الدنيوية أياً كان مجالها، وربطها بما سيترتب عليها من ثواب وعقاب يستطيع تصوره ولو بشكل أولي، إضافة إلى أن الكاثوليكية قد تصورت النعيم الأخروي تصورا كهنوتيا، حيث قمة النعيم تتمثل في إقامة كنيسة السماء والدخول في علاقة مع الثالوث الأقدس.

ونشير هنا إلى أن التركيز على الجزاء الأخروي لا يعني انتفاء الجزاء الدنيوي على الأعمال الصالحة والسيئة إما بتعجيل الرب للعقاب بالنسبة للمخطئين أو بمعاقبة القانون الدنيوي له، إلا أن الجزاء الدنيوي لا يُعد الأساس هنا ولذلك لم نتطرق له.

ثالثاً: الحرية والمسؤولية:

ترى الكاثوليكية بأن الحرية هي "القوة المتجذرة في العقل والإرادة للفعل أو لعدم الفعل، للقيام بهذا أو ذاك، ومن ثم القيام بأعمال مقصودة، على مسؤولية المرء الخاصة"[2] وطالما "لم تقيد الحرية نفسها بشكل قاطع بالخير المطلق النهائي وهو الله؛ فهناك إمكانية للاختيار بين الخير والشر ... وكلما فعل المرء ما هو خير أصبح أكثر حرية.. واختيار العصيان وفعل الشر هو إساءة للحرية ويؤدي إلى عبودية الخطيئة" [3]، وبما أن الإنسان يملك حرية الاختيار؛ فهو من ثم مسؤول عن أفعاله ما دامت بإرادته، وقد تنقص هذه الحرية، بل وأحياناً تبطل تبعة الفعل والمسؤولية بسبب الجهل والغفلة والعنف المعاني والتعلق المفرد والعادات.[4]

لكن في الوقت ذاته يؤكد الدستور الرعائي في الكنيسة في عالم اليوم أن "الحرية الإنسانية التي جرحتها الخطيئة لا تستطيع أن تسير نحو الله كليا وبطريقة فاعلة، إلا بمعونة النعمة الإلهية، وعلى كل إنسان أن يُؤدي حسابا عن حياته أمام منبر الله عن الخير أو الشر الذي فعل"،[5] أي أنه مسؤول.

نلاحظ هنا أن الكاثوليكية كسائر الاعتقادات الأخرى انخرطت في معالجة العلاقة بين الحرية الإنسانية وبين القدرة الإلهية المطلقة التي عبرت عنها بالنعمة، فهل الإنسان هو من يختار بحريته التوجه إلى الله والإيمان به ثم تحصيل القيم الأخلاقية الكاملة، أم أن ذلك موكولٌ للنعمة الإلهية فقط أي للقدر الإلهي؟

يمكن ترتيب التسلسل المنطقي لعلاقة الحرية بالنعمة على النحو الآتي:

---

[1] Pope John Paul II, Heaven, Hell and Purgatory, EWTN, Global Catholic Network, Collected articles from the Holy See L'Osservatore Romano newspaper, on: https://www.ewtn.com/catholicism/library/heaven-hell-and-purgatory-8222 .

[2] Catechism of the Catholic Church, Part 3, Section 1, Chapter 1, I. Freedom and Responsibility.

[3] Ibid.

[4] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص113. بتصرف.

[5] دستور رعائي في الكنيسة في عالم اليوم، ص11.

الإنسان مخلوق متناه، وكل مخلوق متناه لا يمكنه الدخول في علاقة روحية حميمية مع الله بنفسه، الإنسان لا يمكنه الدخول في علاقة روحية حميمية مع الله بنفسه، ومن ثم يستلزم الأمر التدخل الإلهي من خلال النعمة.

الإنسان مُخطئ، وكل مُخطئ لا يمكنه الدخول في علاقة روحية مع الله لأنه مجروح وساقط وبعيد عن الله، الإنسان لا يمكنه الدخول في علاقة روحية مع الله لأنه مجروح وساقط وبعيد عن الله. وأيضا يستلزم الأمر التدخل الإلهي من خلال النعمة.

هذان القياسان يُشيران إلى عاملين مانعين من إمكانية بدء الإنسان مبادرة التقرب إلى الإله وهما: كون الإنسان مخلوقا ومتناه، وكونه ساقطا ومخطئا، وقد أشار إلى هذين العاملين توماس وايت في كتابه، ثم فصل في نوعين من النعمة الإلهية التي تُساعدنا على إقامة علاقة بالإله وابتدأ الحديث بأن أشار إلى معنى النعمة حسب توما الأكويني: (إنها سر عمل الله فينا ليدفعنا مما وراء أنفسنا إلى سره).[1] ومن أنواعها ما يُعرف باسم النعمة الوقائية Prevenient Grace التي يُعطيها الإله –حسب ما فهمنا– لغير الكاثوليك ليلتفتوا إليه، وهذا المصطلح استخدمه القديس أوغسطينس بشكل متكرر وهو يشير إلى تعاليم مركزية في العهد الجديد: "لا يمكننا أن نأخذ مبادرة للتوجه نحو الله ما لم يأخذ هو أولا زمام المبادرة ليوجهنا نحو نفسه".[2]

وقد نسأل هنا: هل تستلزم النعمة عموما والنعمة الوقائية خصوصا أن يُعد الإنسان نفسه بأي شكل من الأشكال؟ يُجيب التعليم الكاثوليكي بأن "تحضير الإنسان نفسه لقبول النعمة هو في حد ذاته عمل نعمة"[3] بمعنى أنه حتى محاولة الانسان للاستعداد هي نعمة إلهية قبل التفات الله إليه بمنحه النعمة الوقائية، ولكن يُؤكد التعليم كذلك بأن "مبادرة الله الحرة تتطلب استجابة الإنسان الحرة.. ولا تدخل الروح إلا بحرية في شركة المحبة"[4] ونفهم من هذه المقاطع أن الإنسان حر صحيح، لكن اختياره للإيمان بالإله يتطلب نعمة من الإله أولاً، وعندما يمنح الإله هذه النعمة لإنسان معين؛ فللإنسان حرية قبولها أو عدم قبولها، يبقى أن الإنسان الذي لم يلتفت إليه الإله هل يُحكم عليه بعدم الإيمان مطلقاً؟ وإن كان كذلك ألا يعني هذا نوعا من الجبر؟ وفي الواقع لم نجد إجابة وافية عن هذه الجزئية.

بعد الهداية أو التحول نحو الإله؛ هناك نعمة البر الداخلي The grace of inward righteousness، أو التبرير justification ، وهي "النعمة المجانية التي تجعلنا أبناء الله بالتبني، وهي التي تثبت المؤمنين في تحولهم نحو الله بطريقة متكاملة وأصيلة".[5] أو كما يذكر التعليم الكاثوليكي: "هو عمل الله الرحيم والمجاني الذي يغفر لنا خطايانا ويصيرنا أبراراً وقديسين في كل كياننا، ويتحقق ذلك بنعمة الروح القدس التي استحقتها لنا آلام المسيح وأُعطيناها في المعمودية، والتبرير يشرع السبيل إلى جواب الإنسان الحر، أي إلى الإيمان بالمسيح والتعاون مع نعمة الروح القدس".[6]

---

[1] The light of Christ an introduction to Catholicism, p.g:197.

[2] Ibid.

[3] Catechism of the Catholic Church, Part 3, Section 1, Chapter 3, Article 2, II. Grace, No. 2001.

[4] Ibid, No. 2002.

[5] See: The light of Christ an introduction to Catholicism, p.g:198.

[6] مختصر التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، ص129.

ونخلص هنا إلى أن أصل العلاقة بين الحرية الإنسانية والنعمة الإلهية، في الكاثوليكية يلفه شيء من الغموض والتعقيد، ونفهم منه نوعا من الجبر إذ أن الإله لابد أن يلتفت للإنسان المعين أولاً ليستطيع الإنسان اختيار الإيمان الكاثوليكي من عدمه، ولما حاولنا إيجاد تفسيرات أكثر وضوحاً لفكرة الحرية وعلاقتها بالنعمة؛ اكتشفنا بأن الفرق المسيحية التابعة للكاثوليكية تتراوح تفسيراتها لهذه العلاقة، فمنها من رفض فكرة "المزاجية الإلهية" وأثبت الحرية الإنسانية ومن ثم المسؤولية تجاه الأفعال مثل الرهبانية اليسوعية، حيث جاء في دراسة أجراها الأب نادر ميشيل: "أصبح اعتماد الفكر المسيحي لمفهوم الناموس الطبيعي – يقصد الشريعة الطبيعية – ما يؤسس مسؤولية الإنسان في بناء عالم إنساني، ويعني الاعتراف بأن المبادئ الأولى والقواعد الأساسية التي يعتمد عليها السلوك الأخلاقي تتفق مع العقل البشري وتهدف إلى خير الإنسان. ومن ثم فإننا نبتعد عن فكرة الإرادة الإلهية المزاجية التي تستوجب الطاعة بدون فهم وننأى عن الفكر الذي عرضته الفلسفة اليونانية من خضوع الإنسان لناموس أبدي ثابت"[1].

وفي مقابل هذا، نجد أن الكنيسة الكاثوليكية في كندا تُغالي في تأكيد فكرة النعمة الإلهية على حساب الحرية الإنسانية، فقد جاء في موقع وزارة الأبواب الكاثوليكية أنه "ليس لأحد أن يستحق النعمة الإلهية، كما أنه لا يمكن لأحد أن يكسبها من خلال أعماله، إذ من خصائص النعمة: أنها تُعطى من الله مجانا، ولا يُمكن استحقاقها، ولا يمكن الحصول عليها بالأعمال، فهي مجانية كما ذكرنا مسبقاً ويعطيها الله وفقاً لخطته الإلهية وإرادته وحكمته، ويختار بعض الناس لدعوات أعظم من غيرهم، لكن هذا لا يعني أن هناك ظلما في توزيع النعمة من قبل الله، بل ولا يحق لأحد أن يسأل الله عن كيفية توزيع نعمته، يقول بولس في الرسالة إلى رومة: (من أنت أيها الإنسان حتى تعترض على الله؟ أيقول المصنوع للصانع: لماذا صنعتني هكذا؟) "رومية، 9: 20""[2]

ومع تنوع التفسيرات، لا يسعنا القول بموقف واحد للكاثوليك في هذه المسألة، وإنما مواقف متعدد، ونعتقد أن السبب في ذلك راجع إلى ضبابية تلك العلاقة منذ الأصل، من حيث تغليب إما جانب الحرية الإنسانية وإما جانب القدرة الإلهية المطلقة المتمثلة بالنعمة، ومحاولة التوفيق بين الاثنين لازالت غير واضحة تماما.

4. خاتمة:

في ختام هذا البحث، نرجو أن نكون قد وفقنا في عرض فلسفة الأخلاق الكاثوليكية بالقدر الذي يتسع له هذا البحث، ونعرض فيما يلي أهم النتائج التي خلص إليها البحث:

1. يتعذر الحديث عن منظومة أخلاقية أصيلة وشاملة وثابتة في المسيحية الكاثوليكية، وإنما منظومة أخلاقية مستمرة التطور بتطور الزمن.

2. إن مصادر الأخلاق الكاثوليكية متنوعة، فإلى جانب المصادر الأساسية المتمثلة بالأناجيل الأربعة التي تتناول سيرة حياة المسيح وكرازته، والتعليم الديني والأخلاقي للرسل وتحديداً بولس الرسول، وموعظة الجبل باعتبارها التعبير الأساسي للشريعة الأخلاقية الجديدة، والعهد القديم؛ توجد مصادر تبعية لا تقل أهمية متمثلة بتعاليم آباء الكنيسة وبتعاليم معلمي الكنيسة، والمجامع الكنسية، وكل هذه المصادر تخضع للعوامل التاريخية والمؤثرات المحيطة.

---

[1] نادر ميشيل، مدعوون إلى الحرية: دراسة في أسس الأخلاق المسيحية، دار المشرق، بيروت، 2007، ط3، ص100-101.

[2] See: The grace of god, Catholic doors ministry, on: https://www.catholicdoors.com/courses/grace.htm.

3. تستمد الأخلاق في الكاثوليكية شرعيتها من عقيدة المسيح وعمله الخلاصي، وتلعب الأسرار المقدسة المرتبطة بالعقيدة ذاتها دوراً أساسياً في اكتساب الفضائل الأخلاقية وفي الترقي الأخلاقي.

4. إن الإلزام الأخلاقي الذي تُقدمه الكاثوليكية ضعيف إذ أنه يُعول بشكل أساس على الضمير الإنساني مع ما قد يعتري ذلك الضمير من أخطاء في الحكم الأخلاقي.

5. إن الجزاء الأخلاقي الذي تُقدمه الكاثوليكية يؤثر بدرجة أقل على الالتزام بالقيم الأخلاقية، إذ رغم شمول الدينونة الأخيرة للروح والجسد معا؛ إلا أن الجنة والجحيم هما عبارة عن حالة الارتباط بالإله وحالة الانفصال عنه، إضافة إلى أن الجزاء لاهوتي بامتياز.

6. إن علاقة الحرية والمسؤولية بالنعمة الإلهية علاقة يشوبها شيء من الغموض الذي قد ينتج عنه نوع من الجبر.

7. إن للقانون الطبيعي المغروس في كل إنسان دوراً مهما في فلسفة الأخلاق الكاثوليكية حيث إنه يُعد بمثابة المشترك الإنساني الذي يُعين البشرية على التواصل والتعايش فيما بينها، كما ويُعينها على الاتفاق حول الخيور العامة.

8. رغم تنظيم الفضائل الأخلاقية للحياة الروحية والأسرية والاجتماعية المحدودة؛ فإنها تعاني من القصور فيما يتعلق بالحياة السياسية والاقتصادية حيث تركتها الكاثوليكية لمبدأ الخير العام بشكل أساس.

5. المصادر والمراجع:

المصادر:

- الكتاب المقدس، (لبنان: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، 1997).
- مختصر كتاب التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية، نقله إلى العربية المطران يوحنا منصور، (جونيه: المكتبة البولسية، 2005 – 2006).

المراجع العربية:

الكُتب:

- الأكويني، توما. الخلاصة اللاهوتية، ترجمة من اللاتينية إلى العربية المطران بولس عواد، (بيروت: المطبعة الأدبية، 1908)، المجلد 5.
- أوغسطينوس. مدينة الله، نقله إلى العربية الخور أسقف يوحنا الحلو، (بيروت، دار المشرق، 2007)، ط2، ج2.
- بايه، ألبرت. أخلاق الإنجيل دراسة سوسيولوجية، ترجمة عادل العوا، (دمشق: دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1997)، ط1
- بسترتس، كيرلس سليم. مقالات في الأخلاق والحياة المسيحية، (جونيه: منشورات المكتبة البولسية، 2001)، ط1.
- حسن، محمد خليفة. تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة، (دار الثقافة العربية، 2002).
- راسل، برتراند. تاريخ الفلسفة الغربية: فلسفة العصور الوسيطة، ترجمة زكي نجيب محمود، (تونس: التنوير، 2018)، ط1.
- كرم، يوسف. تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصر الوسيط، (القاهرة: آفاق للنسر والتوزيع، 2017).
- المسيحية في أخلاقياتها، ترجمة المطران كيرلس سليم بسترس، (جونيه: منشورات المكتبة البولسية، 1999)، ط1.
- ميشيل، نادر. مدعوون إلى الحرية: دراسة في أسس الأخلاق المسيحية، (بيروت، دار المشرق، 2007)، ط3.

المواقع الإلكترونية:

- وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني، (موقع البطريركية اللاتينية القدس)، على الرابط: https://www.lpj.org/ar/archives/second-vatican-council-documents.
  - دستور رعائي في الكنيسة في عالم اليوم 7 ديسمبر 1965.

- دستور عقائدي في الوحي الإلهي 28 نوفمبر 1965.
- قرار في تجديد الحياة الرهبانية 28 ديسمبر 1965.

Sources:
- Catechism of the Catholic Church, (The Holy See), on: https://www.vatican.va/archive/ENG0015/_INDEX.HTM.
English references:
Books:
- Boer, Paul A. The Roman Catechism: The Catechism of the Council of Trent, issued by order of pope ST. Pius V, Translated by John A. McHugh and Others, (veritatis splendor publication, 2013).
- Gardner, Percy. The Religious experience of Saint Paul, (New York: Williams & Norgate, 1913).
- Kim, Andrew. An Introduction to Catholic Ethics Since Vatican II, (Cambridge University Press, 2015).
- Mahoney, John. The Making of Moral Theology, (New York: oxford – Clarendon, 1987).
- Nutt, roger w. general principles of sacramental theology, (Washington, D.C: The catholic university of America press, 2017).
- Ramsay, W. M. The church in the Roman Empire, (London: Hodder and Stoughton).
- White, Thomas joseph. The light of Christ an introduction to Catholicism, (Washington: the catholic university of America press, 2017).

Websites:
- Aratus, (Britannica), on: https://www.britannica.com/biography/Aratus-Greek-poet.
- Augustine on the "Just War" from Contra Faustum Manichaeum, book 22. 69 – 76, (early church texts), on: https://earlychurchtexts.com/public/augustine_war_contra_faustum.htm.
- Council of Clermont, (Britannica Academic), on: https://academic-eb-com.eres.qnl.qa/levels/collegiate/article/Council-of-Clermont/24350.
- General council of Trent: seventh session 3 march 1547 (papal encyclicals online), on: https://www.papalencyclicals.net/councils/trent/seventh-session.htm.
- Green, Brian Patrick. Catholicism and Conscience, (Markkula Center for applied ethics at santa clara University), on: https://www.scu.edu/ethics/focus-areas/religious-and-catholic-ethics/resources/catholicism-and-conscience/.
- Jackson, George. The ethical teaching of St. Paul, (biblical studies), p.g:36, on: https://biblicalstudies.org.uk/pdf/expositor/series6/11-035.pdf.
- logos, (catholic answer encyclopedia), on: https://www.catholic.com/encyclopedia/logos.
- Olson, Carl E. Faith, Love, and Obedience: Marks of the True Disciple, (The catholic world report, 2021), on: https://www.catholicworldreport.com/2021/04/09/faith-love-and-obedience-marks-of-the-true-disciple/.
- Pope John Paul II. Heaven, Hell and Purgatory, (EWTN, Global Catholic Network), Collected articles from the Holy See L'Osservatore Romano newspaper, on: https://www.ewtn.com/catholicism/library/heaven-hell-and-purgatory-8222.
- Rigali, Justin, Freedom and Responsibility, (Catholic Philly, 11 Sep 2008), on: https://catholicphilly.com/2008/09/archbishop-chaput/weekly-message/freedom-and-responsibility/.
- The Common Good and Catholic Social Teaching, (from a 1996 statement by the Catholic Bishops' Conference of England and Wales), P.g:4, on: https://www.cacatholic.org/sites/default/files/files/commongood-1.pdf.
- The grace of god, (Catholic doors ministry), on: https://www.catholicdoors.com/courses/grace.htm.
- The sacrament of Confirmation, (my catholic life), on: https://mycatholic.life/the-my-catholic-life-series/my-catholic-worship/chapter-4-the-sacrament-of-confirmation/.
- The Three Theological Virtues, (Corpus Christi Catholic Church, 24 March 2019), on: https://www.corpuschristiphx.org/blog.php?month=201903&id=498958106&cat=&pg=1&title=The+Three+Theological+Virtues.
- Thigpen, Paul. After Death-Two judgment, (Simply Catholic), on: https://simplycatholic.com/after-death-two-judgments/